الباب الثالث

الوضع فى الحديث...

الفصل الأول: ابتداء الوضع وأسبابه.

الفصل الثانى: جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم فى مقاومة الوضع وحفظ الحديث.

الفصل الثالث: آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها.

الفصل الرابع: أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث.

الفصل الأول

ابتداء الوضع وأسبابه

أولاً- ابتداء الوضع:

بقى الحديث النبوى صافيًا لا يعتريه الكذب، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب، وقبل أن يندس فى صفوفها أهل المصالح والأهواء، وكانت البادرة الأولى التى ترتبت عليها الاضطرابات الكثيرة فى القرن الهجرى الأول هى فتنة عثمان رضى الله عنه واستشهاده، فقد هزت العالم الإسلامى هزة عظيمة، وأورثت الأمة عواقب وخيمة، امتدت آثارها إلى يومنا، ثم اجتمعت - بعد الفتنة - كلمة المسلمين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه، إلا أن الأحداث كانت أقوى من أن تفسح للهدوء والسلام سبيلهما إلى الدولة آنذاك، فحصل انقسام كبير فى صفوف الأمة، تجسم فى معسكر أمير المؤمنين على الذى انطوى تحت جناحه أهل الحجاز والعراق، ومعسكر أمير الشام معاوية الذى انضم إليه أكثر أهلها وأهل مصر.

وقد جر هذا الانقسام على الأمة الحروب الطاحنة، وما لبث أن انتهى بالتحكيم الذى كان سببًا لظهور فرق سياسية مختلفة[1]، فالجمهور يؤيدون عليا رضى الله عنه، لأنه الخليفة الذى بايعته الأمة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه، وحزب معاوية قام مطالبًا بدم عثمان، وانتهى به الأمر إلى طلب الخلافة، وممارسة الحكم فعلاً بعد التحكيم، والخوارج قوم من شيعة أمير المؤمنين على انشقوا عنه لأنه قبل التحكيم ونادوا (لا حكم إلا لله)، ونقموا على معاوية لأنه يريد أن يتولى أمر المؤمنين، وهذا لا يكون إلا بالشورى بينهم، وكان هؤلاء أشداء أقوياء، جلهم من العرب

(١) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ص ٢٦٨ جـ١، والتبصير فى الدين ص ٦، وفجر الإسلام ص ٢٥٦.

الجفاة القساة، وكان لأمير المؤمنين علـى رضى الله عنه معهم مواقع كثيرة وحروب دامية مدة خلافـته، كما كان لهم أثر بعيد فى إقلاق مضـاجع خلفاء بنى أمية طيلة الحكم الأموى.

وبعد استشهاد على رضى الله عنه قام بعض شيعته يطالبون بحقهم فى الخلافة.

وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التى اتخـذت شكلاً دينيّاً كان له أبلغ الأثر فى قيـام المذاهب الدينيـة فى الإسلام[1]. وقد حـاول كل حزب أن يدعم مـا يدعى بالقـرآن والسنة، ومن البديهى ألا يجـد كل حزب مـا يؤيد دعواه فى نـصوص القرآن الكريم والسـنة الشريفة، فـتأول بعضـهم القرآن، وفسـروا بعض نصوص الحديث بما لا تحتمله، إلا أن هذا لم يحقق ما يرمون إليه، ولم يجد بعضهم إلى تحريف القـرآن أو تأويله سبيلاً، لكثـرة حفاظه، فتناولوا السنة بالـتحريف وزادوا عليـها، ووضـعـوا على رسول الله مـا لم يقل[2]، ونشطت حركـة الوضع مع الزمن، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضـوع، وظهرت أحاديث موضوعة فى فضائل الخلفـاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعـماء الأحزاب، ثم ظهرت أحاديث صـريحة فى دعم المذاهب السياسـية والفرق الدينية، وكـانت الأحاديث الموضوعة تولد مع ظهور الفرق، فـينبرى من يضع أحاديث تنتقض تلك الفرق، كما يقف الواضعون من الخصوم للدفاع عنها وهكذا، حتى تكونت مجموعة من الأحاديث الموضـوعة التى كشف عنـها جهابذة هـذا العلم ورجاله، ولم يقتـصر الوضع على فـضـائل الأشـخـاص، ودعم الآراء والأفكار العـقـائدية والمذاهب السياسيـة، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث، وكـادت الأحاديث الموضوعة تتناول جمـيع جوانب الحيـاة الخاصة والـعامة، فـوضعت أحاديث فى الفـضائل والمثالب، وأحاديث فى مناقب البلدان والأيام، وأخرى فى العبادات المختلفة وفى المعـامـلات والأطعـمة والـزهد، والذكـر والدعاء، وفـى الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها.

(١) انظر: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٨٩.

(٢) انظر: اللآلئ المصنوعة ص ٢٤٨ جـ٢.

ويجدر بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته فى هذا القرن، لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجرى الأول بقليل، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لكثرة الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه، ولم يؤخذوا بأراجيف الكذابين، وأخبار الوضاعين، هذا إلى أن أسباب الوضع فى ذلك القرن لم تكن كثيرة، وكانت الأحاديث الموضوعة تزداد بازدياد البدع والفتن، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم فى معزل عنها.

ويصور لنا الإمام ابن تيمية ذلك فى قوله: «والصحابة رضى الله عنهم كانوا أقل فتنًا من سائر من بعدهم، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف، ولهذا لم يحدث فى خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لعلى، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته أو إلاهيته[1]، ثم لما كان آخر عصر الصحابة فى إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية. ثم لما كان فى أول عصر التابعين، فى أواخر الخلافة الأموية، حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شىء من ذلك، وكذلك فتن السيف، فإن الناس كانوا فى ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدو، فلما مات معاوية قتل الحسين، وحوصر ابن الزبير بمكة، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة[2]، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة، ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة، وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه محمد بن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة، فهذا كله بعد موت معاوية، ثم جرت فتنة بن الملهب بخراسان، وقتل زيد بن على بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها[3].

(١) على اختلاف الرافضة فى ذلك بحسب فرقهم وما ذهبت إليه كل فرقة منهم.

(٢) وقعة الحرة مشهورة كانت سنة ثلاث وستين أيام خلافة يزيد بن معاوية، وسميت بذلك نسبة إلى «حرة واقم» قرب المدينة. انظر: هامش صفحة: ٢٩٣ من المنتقى من منهاج الاعتدال.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦، ٣٨٧.

وعلى هذا فإنا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث على لسان رسول الله ﷺ، ولا يعقل أن يتصور مسلم الصحابة الأجلاء، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم فى سبيل الله ودافعوا عن رسول الله ﷺ، وهجروا أوطانهم وقاسوا ألوان العذاب، ومرارة العيش استجابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، لا يعقل أن يتصورهم يفترون ويكذبون على رسول الله ﷺ. وهم الذين نشؤوا فى رعايته، وتخرجوا فى جامعته، ونهلوا من معينه، وتأسوا بعمله، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية، لذلك ننفى إقدام الصحابة الكرام على الكذب على رسول الله.

وإن ما نقله بعض أهل الأهواء ـ من أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يضعون فى على عليه السلام الأخبار القبيحة التى تقتضى الطعن فيه والبراءة منه، إرضاء لمعاوية الذى (جعل لهم على ذلك جُعلا يرغب فى مثله فاختلقوا ما أرضاه. منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة ابن الزبير[1]) إن ما نقله هؤلاء وغيرهم لا يرقى إلى الصحة، وتاريخ الصحابة ينفى هذه الادعاءات ويدحض مثل هذه المزاعم.

وإن الواقع التاريخى فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ينفى كل افتراء على الصحابة فى هذا الموضوع، والصحابة أسمى بكثير من أن يخوضوا فى الكذب والوضع، وهم الذين سمعوا من رسول الله ﷺ فى مواطن كثيرة قوله: **«مَنْ تعمدَ علىَّ كذبًا فليتبوأ مقعدَه من النار»**[2] و قوله ﷺ: **«إن كذبًا علىَّ ليسَ ككذبٍ على أحد ، مَنْ كذب علىَّ فليتبوأ مقعَدَهُ منَ النار»**[3]، فلا يعقل أن يقدم أحد من الصحابة ـ بعد أن عرف جزاء الكذب على رسول الله ـ على وضع واختلاق ما لم

---

(١) نقله ابن أبى الحديد عن شيخة أبى جعفر الإسكافى، انظر: شرح نهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٧ جـ١ وقد رددنا رداً مفصلاً على هذا الادعاء فى الفصل الثانى من (أبى هريرة)، وانظر كتابنا «أبو هريرة راوية الإسلام».

(٢) أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى وأخرج نحوه الإمام أحمد انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢.

(٣) أخرجه الشيخان والترمذى عن المغيرة بن شعبة، انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص٢: ب.

يقله ﷺ، ولا يعقل أن يجازف أحد منهم بالنور النبوى الذى خالط قلبه وروحه، فيطفئه بوضع حديث فى سبيل دعم فكرة أو للانتصار لحزب أو للتقرب من شخص، وإن أية محاولة فى سبيل إثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل، لكثرة الأدلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصى، واعتزال أكثرهم الفتن وابتعادهم عن الضلالات والبدع، بل إن الأدلة على أنهم كانوا حفظة للشريعة يذبون عن السنة التحريف والتأويل أكثر من أن تحصى، ولو فرضنا جدلاً وقوع الوضع من بعض الصحابة ـ وهذا بعيد ـ فإن ذلك سينكشف أمره وينتقل إلينا كما انتقلت أخبار كثير من الحوادث الجليلة والدقيقة[1] ويقوى هذا عندنا، ذلك الوعى الرفيع الذى كان يتميز به الصحابة وكبار التابعين، إلى جانب رسوخهم فى الحديث النبوى الشريف، الذى يسهل عليهم معرفة الصحيح من الموضوع، وراء هذا كله جرأتهم المثالية فى الحق، وهى جرأة لم ترض لهم أن يسكتوا عن آبائهم وأعز الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء السبيل، ولم يكن يخيفهم آنذاك سلطان الحاكم، ولا نفوذ القوى، بل كثيرًا ما كانوا يعترضون على الحكام والعلماء وغيرهم، يبينون وجه الحق، لا يخافون فيه لومة لائم. وإن التاريخ الإسلامى ليعتز بذلك الجيل الذى تمثل الإسلام، وعمل به فكان قدوة حسنة للأجيال التالية، وإن هذا كله ليدفع كل شبهة تحوم حول إيقاع الصحابة فى نار الوضع[2].

---

(١) وقد ذكر لنا المؤرخون والمحدثون حادثة واحدة كذب فيها رجل على رسول الله فكان مصيره الموت: أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً ليس حلة مثل حلة النبى ﷺ ثم أتى أهل بيت من المدينة فقال: إنه عليه الصلاة والسلام أمرنى أى أهل بيت من المدينة شئت استطلعت، فأعدوا له بيتًا وأرسلوا رسولاً إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه، فقال: لأبى بكر وعمر انطلقا إليه فإن وجدتماه ميتًا قد كفيتماه، ولا أراكما إلا قد كفيتماه، فحرقاه، فأتياه فوجداه قد خرج من الليل يبول فلدغته حية فمات، فحرقاه بالنار ثم رجعا إليه ﷺ فأخبراه الخبر، فقال عليه السلام: «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٤: ب. وفى سنده عطاء بن السائب قد اختلط. انظر: مجمع الزوائد ص ١٤٥ جـ١.

(٢) لقد سبق أن بينت أن الصحابة كـ[illegible] لا يكذبون فى عهد الرسول وبعد وفاته فى بحث (تلقى الصحابة السنة عن الرسول الكريم) صفحة [illegible] وكيف كانوا يصدق بعضهم بعضًا، وانظر: المحدث الفاصل ص ٣٢: ب ـ ٣٣: أ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢: أ.

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم فى الوضع ننفى عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضًا ونقرر أنه إذا حصل الوضع فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة التابعين وأتباع التابعين، الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء الشخصية على انتحال الكذب، ووضع الأحاديث على رسول الله ﷺ. وفى هذا العصر ـ عصر التابعين ـ كان الوضع أقل من الوضع فى عصر أتباع التابعين، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبينوا السقيم من الصحيح، ولعدم تفشى التحلل والكذب فى الأمة، لقربها من عصر الرسول ﷺ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته، محافظة على وصاياه تعمها التقوى والورع والخشية، كل هذا خف من انتشار الكذب والوضع، إلى جانب أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة فى نشأتها الأولى، ثم كثرت وازدادت فيما بعد.

ونرى الأحاديث الموضوعة قد ظهرت بكثرة فى العراق، حيث قامت أكثر الفتن والحوادث فى هذا الإقليم، كما نشأت بذور الفرق الدينية فيه، وكادت ثقة المحدثين تفقد بعلماء هذا القطر، لولا قيام نقاد الحديث ورجاله وعلمائه بالكشف عن الكذابين، وبيان أحوالهم وتتبعهم.

وقد اشتهرت العراق بالوضع حتى سميت «دار الضرب» تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم، وكان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم، وكان مالك يقول: «نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم. وقال له عبد الرحمن بن مهدى: يا أبا عبد الله، سمعنا فى بلدكم ـ(المدنية)ـ أربعمائة حديث فى أربعين يومًا، ونحن (أى فى العراق) فى يوم واحد نسمع هذا كله، فقال له: يا عبد الرحمن، من أين لنا دار الضرب التى عندكم؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار»[1] وقال ابن شهاب: «يخرج الحديث

(١) المنتقى من منهاج السنة ص ٨٨، ثم قال ابن تيمية بعد هذا: (ومع هذا إنه كان فى الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير).

من عندنا شبـراً فيعود فى العـراق ذراعًا»[1] وقال عـبد الله بن عمـرو بن العاص لجمـاعة من أهل العـراق جاؤوا يسألونه أن يحـدثهم: «إن من أهل العراق قـومًا يكْذِبُون ويكذِّبون ويسخرون»[2].

***

ثانيًا: أسباب الوضع

ذكرت فـيمـا سبق أن أسبـاب الوضع الرئيسية هى انقـسام الأمـة إلى أحزاب سياسية، اتخذت شكلاً دينياً، وحاول كل حزب أن يدعم موقفه ويؤيد آراءه بوضع أحاديث على لسان رسول الله ﷺ، ثم ازدادت الأسباب التى كان لها أثر بعيد فى وضع الحديث، ونجمل هذه الأسباب فيما يلى:

١ - الأحزاب السياسية:

كان أول مـا ظهر عقب فتنة أمـير المؤمنين عثـمان رضى الله عنه شيعـة الإمام على، وحزب معاوية، ثم ظهر الخوارج بعـد وقعة «صفين»، وسنتناول بإيجاز أثر كل حزب فى وضع الحديث.

(أ) أثر الشيعة وخصومهم فى وضع الحديث:

قال ابن أبى الحـديد فى شرح نهج البـلاغة: «إن أصل الأكـاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهـة الشيعة، فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمـر أحاديث مختلفة فى صاحبـهم، حملهم على وضعهـا عداوة خصومهم. فلمـا رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة هذه الأحاديث»[3].

ومما يؤسف له أن بعض أهل الأهواء وأعـداء الإسـلام اتخذوا التـشـيع ستـاراً لتحـقيق أهوائهم، والوصول إلى مـآربهم، فكان كثـير من الفتن يقوم باسـمهم، فنكب أهل البيت نكبـات متوالية، ذهـب ضحيتـها خيرة أبناء أمـير المؤمنين على

(١) ضحى الإسلام ص ١٥٢ جـ٢.
(٢) طبقات ابن سعد ص ١٣ قسم ٢ جـ ٤.
(٣) شرح نهج البلاغة ص ٢٦ جـ٣.

رضى الله عنه وأحفاده، وسجل لهم التاريخ مآسى تتفطر لها القلوب، وتقشعر لها الأبدان، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الأحاديث فى سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها[1] وإنا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد ابن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن على وغيرهم من أهل البيت على الكذب على رسول الله جدهم وهم على جانب عظيم من الورع والتقى والصفاء، وإن أهل البيت لأرفع بكثير من أن يكذبوا على رسول الله ﷺ، ولهذا أحببت أن أبين من أول هذا البحث أن أهل البيت براء من هذا كله، وإنما حمل إثم الوضع باسمهم من لف حولهم من شيعتهم، وكثر الوضع، وأساؤوا إلى إمامهم على رضى الله عنه أكثر مما أحسنوا إليه بذلك، قال أبو الفرج بن الجوزى: «فضائل على الصحيحة كثيرة. غير أن الرافضة لا تقنع، فوضعت له ما يضع، لاما يرفع»[2].

وقد كثر الوضع منهم حتى أساءوا إلى سمعة العراق، وأصبح أهل المدينة يتوقون حديثهم، (وصار الأمر يشتبه على من لا يميز بين هذا وهذا، بمنزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون، فإنه يحترس منهم حتى يعرف الصدوق الثقة)[3]، وقال أحد أصحاب على رضى الله عنه: «قاتلهم الله! أى علم أفسدوا»[4]، وقال عامر الشعبى: «ما كُذِبَ على أحد فى هذه الأمة ما كُذِبَ على على رضى الله عنه»[5]. ويقول ابن تيمية: «وكذِبُ الرافضة مما يضرب به المثل»[6]، وقال ابن المبارك: «الدين لأهل الحديث، والكلام والحيل لأهل الرأى، والكذب للرافضة»[7]، و«سئل مالك رضى الله عنه عن الرافضة،

---

(١) من هذا ما روى عن أبى أنس الحرانى قال: قال المختار (الثقفى) لرجل من أصحاب الحديث -: ضع لى حديثًا عن النبى ﷺ أنه كائن بعده خليفة مطالبًا له بعشرة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم فقال له الرجل: أما عن النبى ﷺ فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة، وحط لى من الثمن ما شئت، قال: عن النبى ﷺ أوكد، والعذاب عليه أشد. انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ جـ٢ نقله عن ابن الجوزى.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠.

(٣) المرجع السابق ص ٨٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٣ جـ١.

(٥) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ جـ١.

(٦، ٧) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠.

فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون»[1]، وقال الشافعى: «لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة»[2]، وقال يزيد بن هارون: «يكتب عن كل مبتدع - إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة، فإنهم يكذبون»[3]، وقال حماد بن سلمة: «حدثنى شيخ لهم تاب - يعنى الرافضة - قال: كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئًا- جعلناه حديثًا»[4].

وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة، وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التى كانت تزداد يومًا بعد يوم، فوضعوا أحاديث فى مناقب على رضى الله عنه، وأخرى وضعوها فى مثالب معاوية والأمويين، وكتب الموضوعات مملوءة بأكاذيبهم، وسنذكر بعض ما وضعوا على سبيل المثال، ونبين أثره فى الأحزاب المعادية لهم.

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول ﷺ لعلى بالخلافة من بعده، فوضعوا كثيرًا من الأحاديث فى هذا، منها: «وصى، وموضع سرى، وخليفتى فى أهلى، وخير من أخلف بعدى -على»[5] و«يا على، أخصك بالنبوة ولا نبى بعدى»[6]. و«إن لكل نبى وصيًا ووارثًا، وإن وصى ووارثى على بن أبى طالب»[7] وحديث «لما أن عرج بالنبى ﷺ أراه الله من العجائب فى كل سماء، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه، وكذبه من كذبه من أهل مكة، وصدقه من صدقه، فعند ذلك انقض نجم من السماء، فقال النبى ﷺ: فى دار من وقع هذا النجم فهو خليفتى من بعدى، وطلبوا ذلك النجم فوجدوه فى دار على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال أهل مكة: ضل محمد وغوى، وهوى أهل بيته، ومال إلى ابن عمه، فعند ذلك نزلت

(١، ٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١، وانظر: الكفاية ص ١٢٦.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٢ وانظر: الجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ جـ١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨: ب واللآلى المصنوعة ص ٢٤٨ جـ٢.

(٥) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩.

(٦) اللآلىء المصنوعة ص ٣٢٣ جـ١.

(٧) اللآلىء المصنوعة ص ٣ جـ١.

هذه السورة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[1] [النجم: ١] وحديث «خُلقت أنا وعلى من نور، وكنا على يمين العرش...»[2] وافتنوا فى وضع الأحاديث كما يحبون ويهوون، من ذلك «ستكون فتنة، فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين: كتاب الله وعلى بن أبى طالب.... وهو خليفتى من بعدى[3]»، و«من لم يقل على خير الناس فقد كفر[4]»، و«النظر إلى على عبادة[5]»، و«حب على يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب[6]»، و«من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه، ونوح فى فهمه، وإبراهيم فى حكمه، ويحيى فى زهده، وموسى فى بطشه - فلينظر إلى على[7]»، و«من مات وفى قلبه بغض لعلى بن أبى طالب - فليمت يهودياً أو نصرانياً[8]»، وحديث «مثلى مثل شجرة، أنا أصلها، وعلى فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، فأى شىء يخرج من الطيب إلا الطيب[9]»، وحديث: «من أحبنى فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضنى، ومن أبغضنى فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أدخله الله النار[10]»، وحديث: «يا على، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولمحبى شيعتك[11]».

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخبارا بشعة تنال من أبى بكر وعمر وغيرهما يزعمون فيها إساءة هؤلاء الصحابة إلى على رضى الله عنه وأهله، وفى هذا يقول ابن أبى الحديد: (فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التى تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة... وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار... وجعل فى عنق على حبلا يقاد به فكله لا أصل له عند أصحابنا ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شىء تنفرد الشيعة بنقله[12]).

---

(١) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩ وانظره فى المنتقى من منهاج السنة ص ٤٢٦ وفى رواية «فهو الوصى من بعدى»، واختراع أسطورة الوصى كانت من عند عبد الله بن سبأ انظر: هامش الصفحة ٣٠٧ من المنتقى من منهاج السنة.

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٤٢.

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٤٥.

(٤) الفوائد المجموعة ص ٣٤٧.

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩.

(٦، ٧) المرجع السابق ص ٣٦٧.

(٨) الفوائد المجموعة ص ٣٧٣.

(٩) المرجع السابق ص ٣٧١.

(١٠) الفوائد المجموعة ص٣٨٣.

(١١) المرجع السابق ص٣٨٤.

(١٢) شرح نهج البلاغة ص١٥٨، ١٥٩ جـ١.

لقد رأى بعض الوضـــاعيـن من الأحزاب الأخـرى أن هذه الأحـاديث تنتقص أبا بكر وعمـر وعثمان ومعـاوية، فوضعوا مـقابلها أحاديث أخـرى ترفع من شأن الشيـخين ومعاوية، من ذلك الحـديث الموضوع: «لما عرج بى إلى السـماء قلت: اللهم اجعل الخليفة من بعـدى على بن أبى طالب، فارتجت السموات، وهتف بى الملائكة من كل جانب، يا محمد اقرأ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق[1]»، وما روى عن عبـد الله بن جراد قال: «كنا عند رسول الله ﷺ، فـأتى بفرس فركـبه، ثم قال: يركـب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدى، فركبه أبو بكر[2]».

وحديث «أن أبا بكر قال للنبى ﷺ: إنى كنت معك فى الصف الأول، فكبرتَ وكبرتُ فاستـفتحت بالحمد فقرأتها، فوسـوس إلى شىء من الطهور فخرجت إلى باب المسجد، فإذا أنا بهاتف يهتف بى وهو يقول: وراءك، فالتفت، فإذا أنا بقدح من ذهب مملوء مـاء أبيض من الثلج وأعذب من الشـهد، وألين من الزبد، عـليه منديل أخـضـر مكتوب عـليه لا إله إلا الله الصـديق أبو بكر، فـأخـذت المنديل فوضعـته على منكبى، وتوضأت للصلاة وأسبـغت الوضوء، ورددت المنديل على القدح، ولحقـتك وأنت راكع الركعة الأولى فتممت صـلاتى معك يا رسول الله، فقـال النبى ﷺ: أبشـر يا أبا بكر، الذى وضأك للصـلاة جبـريل، والذى مندلك ميكائيل، والذى مسـك ركبتى حتى لحقت الصـلاة إسرافيل[3]» وحديث «إن الله جـعل أبا بكر خليفـتى على دين الله ووحـيه، فـاسمـعوا له تفلحـوا، وأطيعـوه ترشدوا[4]»، وحديث «عرج بى إلى السـماء، فما مررت بسماء إلا وجـدت فيها اسمى مكتـوبًا محمد رسـول الله، وأبو بكر الصديق من خلفى[5]»، وحديث «إن الله فى السمـاء يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق[6]»، وحديث «لما أسرى بى رأيت

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص٣٤٥ جـ١.
(٢) المصدر السابق ص٣٤٦ جـ١.
(٣) الفوائد المجمـوعة ص٣٣٠، وقد روى نحو هذا لعلى بن أبى طالب وفيـه: ذكر السطل والمنديل، والكل كذب موضوع. انظر: الفوائد المجموعة ص٣٣١.
(٤) المرجع السابق ص٣٣٢.
(٥) الفرائد المجموعة ص٣٣٣.
(٦) المرجع السابق ص٣٣٥.

فى السماء خيلا موقوفة مسرجة ملجمة... رؤوسها من الياقوت الأحمر... ذوات أجنحة، فقلت: لمن هذه؟ فقال جبريل: هذه لمحبى أبى بكر وعمر، يزورون الله عليها يوم القيامة[1]»، وحديث عن عبد الله بن أبى أوفى «رأيت النبى ﷺ متكئا على على، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا، فقال: يا أبا الحسن أحبهما فبحبهما تدخل الجنة[2]»، وحديث «إن فى السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر، وفى السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر[3]»، وحديث «ما فى الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين[4]».

ووضع بعض الكذابين من حزب معاوية بعض الأحاديث، منها «أن جماعة من بنى هاشم سألوا رسول الله ﷺ أن يحول الكتابة من معاوية، فنزل الوحى باختياره[5]»، ووضعوا أحاديث مطولة فى كتابته آية الكرسى وغيرها، ذكرتها كتب الموضوعات، منها «أنه ﷺ أخذ القلم من يد على فدفعه إلى معاوية[6]»، و «الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية[7]»، وحديث «أن النبى ﷺ ناول معاوية سهما وقال: خذ هذا السهم حتى تلقانى به فى الجنة[8]»، وما روى عن ابن عباس أنه «جاء جبريل إلى النبى ﷺ بورقة آس أخضر مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، حب معاوية فرض على عبادى[9]».

وحرف الشيعة حديث «اللهم اركسهما فى الفتنة ركسا، اللهم دعهما إلى النار دعا[10]» فى أنه قيل فى معاوية وعمرو بن العاص حين كانا يتغنيان، والواقع أنهما

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص٣٤٧ جـ١ والفوائد المجموعة ص٣٣٧.

(٢) تنزية الشريعة المرفوعة ص٣٤٧ جـ١ والفوائد المجموعة ص٣٣٨.

(٣) الفوائد المجموعة ص٣٣٨. (٤) المرجع السابق ص٣٤٢.

(٥) الفوائد المجموعة ص٤٠٣ وانظر: تنزية الشريعة المرفوعة ص١٩ جـ٢ ذكره بطوله.

(٦) الفوائد المجموعة ص٤٠٣.

(٧) تنزية الشريعة المرفوعة ص٤ ونحوه فى ص٦ جـ٢.

(٨) تنزيه الشريعة ص٦ جـ٢. (٩) المرجع السابق ص٢١ جـ٢.

(١٠) تنزيه الشريعة ص١٦ جـ٢، والفوائد المجموعة ص٤٠٧.

لم يفعلا شيئًا من هذا، إنما قيل هذا فى معاوية بن رافع وعمرو بن رفاعة ابن التابوت، فحرف الراوى الأسماء.

ووضع بعض المغرضين من أتباع حزب معاوية «.. ثم قال النبى ﷺ: يا أبا هريرة، إن فى جهنم كلابًا زرق الأعين، على أعرافها شعر كأمثال أذناب الخيل، لو أذن الله تعالى لكل منها أن تبلغ السموات السبع فى لقمة واحدة لهان ذلك عليه، تسلط يوم القيامة على من لعن معاوية بن أبى سفيان[1]».

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة، كلها من صيغة الأحزاب المتناوئة، التى حاولت أن تدعم بها موقفها، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها، وكان بوسع هؤلاء الابتعاد عن الكذب على رسول الله ﷺ مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة، ولكن الهوى ساق بعضهم إلى ذلك والجهل أعمى قلوب بعضهم.

وقد رأى بعض ذوى النيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم، فدفعهم حبهم للصحابة جميعا إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم، وترفع من شأنهم، وتبين أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة، وقد طن هؤلاء ـ بحسن نيتهم ـ أنهم يفعلون خيرًا، لأنهم يمنعون بوضع هذه الأحاديث اللعن الذى كان يتبادله أتباع كل صحابى، ويقطعون دابر الشتم والسباب فيجمعون أمر الأمة وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتئتون على رسول الله الكذب. ومن ذلك حديث، «إن الله أمرنى أن أتخذ أبا بكر والدا، وعمر مشيرا، وعثمان سندا، وأنت يا على ظهيرًا. أنتم أربعة، قد أخذ الله لكم الميثاق فى أم الكتاب، لا يحبكم إلا مؤمن تقى، ولا يبغضكم إلا منافق مسىء، أنتم خلفاء نبوتى، وعقد ذمتى[2]» حديث «ينادى مناد يوم القيامة من تحت العرش: أين أصحاب محمد؟ فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم[3]»، و«أبو بكر وزيرى، والقائم فى أمتى من بعدى، وعمر حبيبى ينطق على لسانى وأنا من عثمان وعثمان منى، وعلى أخى

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص٢٣ جـ٢.

(٢ ، ٣) الفوائد المجموعة ص٣٨٤.

وصاحب لوائى[1]» و«أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها، وعمر بن الخطاب خير أمتى وأكملها، وعثمان بن عفان أحيى أمتى وأعدلها، وعلى بن أبى طالب ولى أمتى وأوسمها، وعبد الله بن مسعود أمين أمتى وأوصلها، وأبو ذر أزهد أمتى وأرقها، وأبو الدرداء أعدل أمتى وأرحمها، ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها[2]». و«من شتم الصديق فإنه زنديق، ومن شتم عمر فمأواه سقر، ومن شتم عثمان فخصمه الرحمن، ومن شتم عليا فخصمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم[3]» ومن حديث طويل: «.. ثم قال ـ رسول الله ﷺ: ألا لعنة الله على مبغضى أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى[4]».

وإذا رجعنا إلى كتب الموضوعات رأينا أن الشيعة قد أسرفوا فى الوضع أكثر من غيرهم.

(ب) الخوارج ووضع الحديث:

لم نعثر فى المراجع القريبة منا على ما يدل على وضع الخوارج للحديث، أو على اعتمادهم على ذلك لدعم موقفهم وإثبات دعواهم، اللهم إلا ما ذكر عن ابن لهيعة قال: سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع، وهو يقول: «إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا[5]». وما رواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم قال: «قال لى رجل من الخوارج: إن هذا الحديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، إنا كنا إذا هوينا أمرا جعلناه فى حديث[6]». وما رواه السيوطى: «روى عن شيخ خارجى أنه قال: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا[7]».

---

(١) المرجع الفوائد المجموعة ص٣٨٦.
(٢) الفوائد المجموعة ص٤٠٩.
(٣) المرجع السابق ص٣٣٩.
(٤) المرجع السابق ص٣٣٨.
(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٨: وانظر: المدخل للحاكم ص١٩.
(٦) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص٨٣.
(٧) اللآلىء المصنوعة ص٣٤٨ ج٢.

هذه أخبار ثلاثة بمعنى واحد، وطرق مختلفة، تدل على وضع الخوارج للحديث. إلا أننا لم نجد دليلا يثبت عليهم هذا بين الأحاديث الموضوعة، وربما كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر، والكذب من الكبائر.

وهناك أدلة كثيرة على أنهم أصدق من نقل الحديث، ومن هذا ما قاله ابن تيمية للرافضة فى الرد عليهم: «ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم، ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب، لأننا جربناهم، فوجدناهم يتحرون الصدق لهم وعليهم[1]»، كما قال أيضا: «ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث[2]». وقال أبو داود «ليس فى أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج[3]».

لابد لنا بعد هذا من مخرج لما روى عنهم من الكذب، فالأخبار الأولى تدل على وقوع الوضع منهم، باعتراف أحد شيوخهم، إلا أننا لم نعرف هذا الشيخ!! وقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة[4] نحو حديث ابن لهيعة عن (شيخ من الرافضة)، فى نفس الصفحة التى روى فيها خبر ابن لهيعة، فيمكن أن يحمل على أنه خطأ من الكاتب أو الراوى. وإذا فرضنا أنه خطأ، فما موقفنا من الخبرين الآخرين اللذين لا سبيل إلى تسرب الخطأ إليهما؟ إلا أن الأخبار التى تدل على صدقهم تعارض هذه الروايات، والبحث لا يؤدى إلى دليل يدين الخوارج بالوضع فلابد من حمل تلك الأخبار على وهم الراوى: أن «الشيخ» خارجى، وهو ليس كذلك. وأرْجَحُ من هذا أن الخبرين ضعيفان لجهالة «الشيخ».

وأما ما روى عن عبد الرحمن بن مهدى: أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث «إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتابَ الله فأنا قلته..» ـ فقد فند الدكتور مصطفى السباعى هذا القول، وبين أنه من وضع

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠.

(٢) المرجع السابق ص٢٢.

(٣) الكفاية ص ١٣٠.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٨: ب.

الزنادقة[1]. وهكذا يثبت أن الخوارج لم ينغمسوا فى حمأة الوضع، لما عرف عنهم من الورع والتقوى.

٢ ـ أعداء الإسلام (الزنادقة):

لقد قوضت دولة الإسلام دولتى كسرى وقيصر، وقضت على عروش الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم، يذيقونها العذاب ويستنزفون خيراتها، ويسترقون أبناءها، وكان حول هؤلاء الحكام طبقة من الخواص والمستغلين، الذين يفيدون من وراء أولئك الملوك والأمراء، وكانت لهم وسائلهم الخاصة فى استغلال رعاياهم، فعندما انتشر الإسلام، وخالط قلوب الأمم المظلومة، والشعوب المغلوبة على أمرها من قبل رعاتها ـ تذوق هؤلاء نعمة الحرية، وشعروا بالكرامة الإنسانية، فى حين أفلتت السلطة من يد الحكام، وخسروا مناصبهم، وضاعت تلك المنافع التى كانوا ينالونها باستغلال أبناء الشعب، الذى عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق الإسلام، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين، فأضمروا الحقد والكيد للإسلام والمسلمين، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف، لقوة الدولة الإسلامية، فراحوا ينفرون المسلمين من العقيدة الجديدة، بدس الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول الله، قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن الإسلام، الذى حاولوا أن يصوروه أبشع الصور فى عقائده وعباداته وأفكاره، وظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة، وتحت أسماء فرق متعددة، إلا أنهم لم يوفقوا إلى ما أرادوا، وباءت محاولاتهم بالفشل أمام قوة الإسلام، وسمو مقاصده، وصفاء عقيدته.

وسنذكر أمثلة موجزة مما صنعوه ليضللوا أتباع الدين، وينفروا منه من يحب اعتناقه، فمن ذلك: ما رووه: «أن نفرا من اليهود أتوا الرسول ﷺ فقالوا من يحمل العرش؟ فقال: تحمله الهوام بقرونها، والمجرة التى فى السماء من عرقهم، قالوا: نشهد أنك رسول الله ﷺ[2]».

---

(١) انظر: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٩٧.

(٢) قبول الأخبار ص١٤.

قال أبو القاسم البلخى. «هذا والله تقـوُّل، وقد أجمع المسلمون على أن الذين يحملون العرش ملائكة[1]»، وحديث عن النبى ﷺ: المجرة التى فى السماء عرق الأفعى التى تحت العرش[2]». وقال أبو القاسم «وما يستجيز أن يروى مثل هذا عن رسول الله ﷺ إلا من لا يبالى بدينه، ومتى قـال المسلمون إن تحت العرش أفعى؟ وهل يجوز أن يكون هذا إلا من دسـيس الزنادقة ليقبـحوا الإسلام[3]»؟ وحديث: «قيل: يا رسـول الله، مم ربنا؟ قال: من مـاء مرور، لا من أرض ولا سماء، خلق خيلا فـأجراها، فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق[4]». إنه لا يضع مثل هذه الأحاديث مسلم ولا عاقل!!

وإن هؤلاء لأشد ضـررا وبلاء على الإسـلام من غيرهم، فـقد كـان منهم من يفـحش فى الكذب والافتـراء، ومن هؤلاء عبـد الكريم بن أبى العوجـاء، الذى اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث، فقال: «والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحـلال، وأحل فيها الحرام[5]» وقال المهدى: «أقر عندى رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائـة حديث، فهى تجول فى أيدى الناس[6]» وقال حمـاد بن زيد: «وضعت الزنـادقة على رسـول الله ﷺ اثنى عشر ألـف حديث، بثوها فى الناس[7]»، وفى رواية قال: «وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث[8]».

إلا أن هذه الأحاديث لم تخف على رجال هذا العلم، فبينوها وتتبعوا الكاذبين الذين وضعوها.

(١ و٢ و٣) قبول الأخبار ص١٤.

(٤) تنزية الشريعة المرفوعة ص١٣٤ جـ١.

(٥) اللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ جـ٢. وعبد الكريم هذا خال معن بن زائدة الشـيبانى المعروف وقد أمر بضرب عنقه محمد بن سليمان بن على أميـر مكة وقال الذهبى فى الميزان: أمير البصرة، انظر: توضيح الأفكار ص٧٥ جـ٢، وانظر ميزان الاعتدال ص١٤٤ جـ٢.

(٦) الكفاية ص٤٣١، واللآلىء المصنوعة ص٢٤٨ جـ٢.

(٧) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص١٢، والكفاية ص٤٣١.

(٨) تدريب الراوى ص١٨٦ وتوضح الأفكار ص٧٥ جـ٢. وذكـر عنه أربعة آلاف، انظر: اللآلىء المصـنوعة ص٢٤٨ جـ٢، وأظن أنه خطأ مطبعى أو خطأ من الراوى.

٣ـ التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام:

اعتمد الأمويون فى إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصب بعضهم للعرب والعربية، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام حتى إن طبقة الموالى «وهم المسلمون من غير العرب» شعرت بهذه العنصرية، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها فى سبيل تحقيق ذلك[١]، وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم، وتبين فضائلهم، ومن ذلك حديث: «إن كلام الدين حول العرش بالفارسية، وإن الله إذا أوحى أمرا فيه لين أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمرا فيه شدة أوحاه بالعربية[٢]» فوضع مقابله حديث «أبغض الكلام إلى الله الفارسية، وكلام الشياطين الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنة العربية[٣]»، وحديث: «دعونى من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه[٤]».

ومنشأ وضع الأحاديث فى فضائل بعض القبائل العربية يرجع ـ فى غالب ظنى ـ إلى إثارة تلك العصبية القبلية التى ظهرت فى الدولة الأموية عقب وفاة يزيد ابن معاوية[٥].

وكما وُضعت أحاديث فى الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديثُ فى تفضيل البلدان والأئمة، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلامية من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد فى دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث فى فضائل بلدانهم أو أئمتهم.

ومما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا فى القرن الثالث الهجرى، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين، فوُضعت أحاديث كثيرة فى فضائل

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص٣٤٢ جـ١.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص١٣٦ جـ١. (٣) تنزيه الشريعة المرفوعة ص١٣٢ جـ١.

(٤) المرجع السابق ص٣١ جـ٢.

(٥) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص٣٣٧ جـ١.

البلدان منها: «أربع مدائن من مدن الجنة فى الدنيا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق[1]...» وفى الأئمة حديث: «يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من إبليس، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى[2]»، و«سيأتى من بعدى رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة، ليحيين دين الله وسنتى على يديه[3]».

٤ ـ القصاصون:

ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ فى أواخر عهد الخلافة الراشدة[4]، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد فى مختلف مساجد الأقطار الإسلامية[5]، وكان بعض القصاص لا يهمه إلا أن يجتمع الناس عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التى تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم، وقد كان معظم البلاء من هذا الصنف الذى يكذب على رسول[6] الله ﷺ، ولا يرى فى ذلك إثما ولا بهتانا.

ومما يؤسف له أن هؤلاء القصاص ـ على تعالمهم وكذبهم على رسول الله ﷺ ـ قد وجدوا آذانا تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم، وكان هؤلاء من جهلة العامة التى لا يهمها البحث والتقصى.

ومما وضعه القصاص حديث: «إن فى الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت، لا تروث ولا تبول، ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا[7]...».

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص٤٨ جـ٢.

(٢ و٣) المرجع السابق ص٣٠ جـ٢.

(٤) استشار تميم الدارى ـ صحابى مشهور ـ عمر رضى الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمح له انظر ص١٨: ب من تمييز المرفوع عن الموضوع. وعن نافع عن ابن عمر أنه لم يقص على عهد النبى ﷺ، ولا على عهد أبى بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقعت الفتنة انظر: كتاب العلم للمقدسى ص٥٢، وانظر: أخبار أصبهان ص١٣٦ جـ١، طبع ليدن سنة ١٩٣١.

(٥) انظر: الخطط للمقريزى ص٢٤٦ و٢٥٦ جـ٢ حيث يذكر بعض القصاص والمساجد التى كانوا يقصون فيها، وكذلك البيان والتبيين ص٣٦٨ جـ١.

(٦) انظر اللآلىء المصنوعة ص٢٤٩ جـ٢.

(٧) تنزيه الشريعة المرفوعة ص٣٧٨ جـ٢.

وقد قاوم رجال الحديث القصاص، وبينوا كذبهم، فلقوا من أتباعهم الإنكار والأذى، وفى ذلك حوادث طريفة منها: أن الشعبى أنكر على أحد القصاص فى بلاد الشام، فقامت عليه العامة تضربه، ولم يدعه أتباع القاص حتى قال الشعبى برأى شيخهم نجاة بنفسه[1].

وكان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص، من ذلك ما رواه عاصم قال: «كنا نأتى أبا عبد الرحمن السلمى ونحن غلمة أيفاع، فكان يقول لنا: لا تجالسوا القصاص غير أبى الأحوص، وإياكم وشقيقًا، قال وكان شقيق هذا يرى رأى الخوارج وليس بأبى وائل»[2].

وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضعون من الحديث ما يرغب الناس فى الإحسان إليهم والعطف عليهم، من هذا ما روى ابن الجوزى بإسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى، قال: «صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص فقال: «حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين، قالا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب، وريشه من مرجان!! وأخذ فى قصه نحوا من عشرين ورقة، فجعل أحمد ابن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد، فقال له: حدثته بهذا!! فيقول: والله ما سمعت هذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات، ثم قعد ينتظر بقيتها، قال له يحيى بن معين بيده: تعال، فجاء متوهما لنوال، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟! فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين! فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ﷺ! فقال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما تحققت هذا إلا الساعة! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما؟

---

(١) انظر: تمييز المرفوع عن الموضوع ص١٦: ب، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٠ جـ١.

وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين!! فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما[1]»!!

وكان من هؤلاء القصاص المتكسبين من يحفظون أسانيد مشهورة، يكررونها كالببغاء ويلصقون بها ما يضعون من الأحاديث العجيبة بكل وقاحة وصفاقة وجه، كما فعل القاص المذكور مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وكما فعل قاص آخر حكى عنه أبو حاتم البستى جهله وكذبه، قال أبو حاتم: دخلت مسجدا، فقام بعد الصلاة شاب فقال: «حدثنا أبو خليفة: حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس، وذكر حديثا، قال أبو حاتم: «فلما فرغ دعوته، قلت: رأيت أبا خليفة؟ قال: لا، قلت: كيف تروى عنه ولم تره؟ فقال: إن المناقشة معنا من قلة المروءة! أنا أحفظ هذا الإسناد، فكلما سمعت حديثًا ضممته إلى هذا الإسناد!![2]».

وقد بين أيوب السختيانى أثر القصاص فى إفساد الحديث فقال: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضًا: ما أمات العلم إلا القصاص[3].

والأحاديث التى وضعها القصاص في القرن الأول قليلة، ازدادت فيما بعد، وقد كشف عنها رجال هذا العلم وبينوا واضعيها وتتبعوهم حتى تميز الصحيح من الباطل.

٥- الرغبة فى الخير مع الجهل بالدين:

بينت فيما تقدم أن بعض ما حدث من الفتن، وما ترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم، ورفع شأن زعمائهم، والحط من قيمة خصومهم، وقد ظهر إثر هذا بعض الصالحين والزهاد والعباد، الذين ساءهم هذا الانشقاق وتفرقة الأمة، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعمائهم جميعا،

---

(١) الباعث الحثيث ص٩٣، ٩٤، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٤٩: أ- ١٤٩: ب، وتمييز المرفوع عن الموضوع ص١٦: ب، وتوضيح الأفكار ص٧٦، ٧٧ جـ٢.

(٢) الباعث الحثيث ص٩٣.

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٤٧: ب.

ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا انشغال الناس بالدنيا عن الآخرة، فوضعوا أحاديث فى الترهيب والترغيب حسبة لله[1]، وقد حملهم جهلهم بالدين على استساغة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس فى صالح الأعمال، وكأن هذه الثروة من الأحاديث النبوية التى لا يدرك البيان وصفها ـ لم تشف صدورهم، ولم ترد ظمأهم، فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله، وإذا ما ذكروا بقوله ﷺ «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» قالوا: نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له[2]. ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خدع العامة، فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم، فكان خطرهم شديدًا على الدين[3]، بل هم أعظم ضررًا من غيرهم، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد، الذى لا يتصور معه العامى إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب، وفى هذا يروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قوله: «لم نر الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث[4]». وقال أبو عاصم النبيل: «ما رأيت الصالح يكذب فى شىء أكثر من الحديث[5]»، وفى رواية عن يحيى بن سعيد القطان: «ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد[6]».

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور، وفى هذا يروى الحاكم بسنده إلى أبى عمار المروزى أنه قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم: «من أين لك، عن

---

(١) ومن هذا ما يرويه على بن المدينى أن جرير بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن المسور كان «يضع الحديث على رسول الله ﷺ، ولا يضع إلا ما فيه أدب أو زهد، فيقال له فى ذلك، فيقول: إن فيه أجرا». انظر: ص٧، ٨ قبول الأخبار. وعبد الله بن المسور هو نفسه أبو جعفر المدائنى الهاشمى الذى أرسل عن رسول الله ﷺ كلاما حقا ليس عن رسول الله ﷺ فاحتمله الناس فى الدعاء ونحوه. انظر: أيضا قبول الأخبار ص١٥ وعبد الله بن المسور هذا هو الذى يروى عنه خالد بن أبى كريمة انظر: ترجمته فى ميزان الاعتدال ص٧٨ جـ٢ ترجمة (٥٦٣) وذكر الإمام مسلم هذا فى صحيحه: انظر: مسلم بشرح النووى ص١٠٧ جـ١.

(٢) انظر: اختصار علوم الحديث ص٨٦.

(٣) انظر: تدريب الراوى ص١٨٤.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ص٩٤ جـ١، ونحوه فى مقدمة التمهيد ص١٤: أ، وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٥٩: أ.

(٥) المحدث الفاصل ص٨٣: أ.

(٦) اللآلئ المصنوعة ص٢٤٨ جـ٢.

عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة[1]»، وقال ابن مهدى لميسرة ابن عبد ربه: «من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها[2]»، وقال أبو عبد الله النهاوندى لغلام خليل ـ هو أحمد ابن محمد بن غالب الباهلى ـ: «ما هذه الرقائق التى تحدث بها؟ قال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامة[3]»، وقد كان مشهوراً بزهده حتى عرف بزاهد بغداد، وقد غلقت أسواق بغداد لموته[4]، وحمل فى تابوت إلى البصرة، وكان يحفظ علمًا كثيرًا، ومع هذا لم يحمل عنه العلماء وبينوا أمره وأمر غيره.

٦ ـ الخلافات المذهبية والكلامية:

وكما دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الأحاديث؛ وضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية أحاديث لتأييد مذاهبهم؛ من هذا ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى: إن قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضح... عن أنس مرفوعا «من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له[5]»، وحديث: «كل ما فى السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود، وسيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم، وطلقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغى لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول[6]» وعلائم الوضع ظاهرة جلية فى تعليلاته وركاكة لفظه.

(١ ، ٢) تدريب الراوى ص٢٨٤، واللآلئ المصنوعة ص٢٤٨ جـ٢.

(٣) ميزان الاعتدال ص٦٦، ٦٧ جـ١، وتدريب الراوى ص١٨٥ واللآلئ المصنوعة ص٢٤٨ جـ٢.

(٤) كانت وفاته فى رجب من سنة (٢٧٥هـ). انظر: ميزان الاعتدال ص٦٧ جـ١.

(٥) تدريب الراوى ص١٨١، والباعث الحثيث ص٩٠ وقال فيه عن الحاكم: فهذا مع كونه كذبا من أخبث الكذب، فإن الرواية عن الزهرى بهذا السند بالغة مبلغ القطع بإثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال، وهى فى الموطأ وسائر كتب الحديث ا هـ من لسان الميزان ص٢٨٨، ٢٨٩ جـ٥.

(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة ص١٣٤ جـ١.

ومن هذا ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء ـ وكان يرى رأى القدر فتاب منه ـ فقال: لا تروا عن أحد من أهل القدر شيئا، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس فى القدر نحتسب بها، ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس. قال زهير: فقلت له: كيف تصنع بمن أدخلتهم؟ قال: ها أنا ذا أخرجهم الأول فالأول[1].

٧- التقرب من الحكام وأسباب أخرى:

لم يذكر أحد ـ فيما اطلعت ـ أن أحدا من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بنى أمية وأمرائهم بوضع ما يرضى ميولهم من الحديث، اللهم إلا ما اتهم به الشيعة بعض الصحابة والتابعين فى ذلك، وقد رددنا هذا فى الفصل الثانى من «أبى هريرة»، وطبيعى أن يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة بوضع ما يرضيهم من الحديث، وقد حدث هذا فعلا فى عهد العباسيين، فقد أسند الحاكم «عن هارون بن أبى عبيد الله عن أبيه قال: قال المهدى ألا ترى ما يقول لى مقاتل؟ قال: إن شئت وضعت لك أحاديث فى العباس، قلت لا حاجة لى فيها[2]».

وقد كذب غياث بن إبراهيم للمهدى فى حديث «لا سبق إلا فى نصل أو خف أو حافر»، فزاد فيه أو جناح حين رآه يلعب بالحمام، فتركها المهدى بعد ذلك، وأمر بذبحها، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم، وقال فيه بعد أن ولى: «أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ[3]» وإن هذا الإنكار من المهدى لا يكفى، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة آلاف درهم من أموال المسلمين، لكذبه على رسول الله ﷺ، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يقتله[4].

---

(١) الجرح والتعديل ص٣٢ جـ١ وفيه (هوذا) وما أثبته أصوب.

(٢) تدريب الراوى ص١٨٧ والباعث الحثيث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير المهدى.

(٣) المدخل ص٢٠، ٢١ والباعث الحثيث ص٩٤، وتدريب الراوى ص١٨٧، وتوضيح الأفكار ص٧٦ جـ٢.

(٤) راجع السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص١٠٤ فقد كتب أستاذنا الدكتور السباعى كلمة طيبة جريئة لما كان لتساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أثر سيئ فى الدين.

وهناك أسباب أخرى بينها رجال الحديث، وضربوا لها الأمثال، مثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمى، قال: كنت عند سعد بن طريف، فجاء ابنه من الكتاب يبكى، فقال: مالك؟ قال: ضربنى المعلم. قال: لأخزينهم اليوم، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا: «معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين[1]». وحديث: «خير تجارتكم البز، وخير أعمالكم الخرز[2]»، و«من سيادة المرء خفة عارضيه[3]»، و«الناس أكفاء إلا حائك أو حجام[4]».

ومن الوضاعين من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة، وللأقوال المعسولة، ومنهم من وضع الحديث للإغراب ليُقصدوا بالطب لما عندهم من غريب الحديث، وهؤلاء من جهال أهل الحديث، بل من المتطفلين على الحديث النبوى وعلمائه، ومنهم من وضع الأحاديث فى أصناف معينة من المآكل لترويجها، أو فى مهن خاصة للرفع من قدرها.. وفى غير هذا وذاك، وقد بين العلماء جميع هذا، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لحفظ الحديث.

***

(١) انظر: تدريب الراوى ص١٨٠، ١٨١، والباعث الحثيث ص٨٩ حيث قال: وسعد بن طريف هذا، قال فيه ابن معين: «لا يحل لأحد أن يروى عنه» وقال ابن حبان: «كان يضع الحديث» وراوى القصة عنه سيف بن عمر، قال فيه الحاكم: اتهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط» ا هـ.

(٢، ٣، ٤) قبول الأخبار ص٢١ وانظر: فى المدخل ص٢٤ بعض ما وضعه الكذابون فى الشهوات واللذات.

الفصل الثانى

جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم فى مقاومة الوضع

كان الوضاعون يسيئـون إلى الدين إساءة خطيرة، ويشوهون بكذبهم وجه الإسلام، ويدخلون فى تعـاليمـه ما ليس منه، لولا عناية الله عـز وجل الذى حفظ الإسـلام من التحـريف والتبديل، وصـان كلام نبيـه ﷺ عن أن يكون مطية لأهل الأهواء، فـقيض للأمة رجالا أمناء مخلصين، قاوموا الوضاعين وتتبعوهم، ومازوا الباطل من الصحيح، فلولا الجهود التى بذلها الصـحابة والتابعون وعلماء الأمة من بعدهم لاشتـبه على كثير من الناس بعض أمـور دينهم، لكثرة ما اخـتلقه الكذبة الوضـاعون، ونسـبوه إلى رسول الله ﷺ زورًا وبهتـانًا. وإن المنصف لا يسعه إلا أن يقف إجلالا وإكبـارًا لجهود علماء الأمة التى بذلوها ـ منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة ـ فى تنقيح السنة الشريفـة وتطهيرها مما أدخلتـه فيها يد الوضع، وإن المرء لـيزداد إعجابا بتلك القـواعد العلمية الدقيقة التى طبقها العلـماء، وبذلك المنهج الخاص الذى اتبعوه فى سبيل الحفاظ على حديث رسول الله ﷺ، ولندرك قيمة بحثهم ودراستهم وصبرهم وتتبعهم إزاء تلك الكثرة من الأحاديث المـوضوعة، التى يصعب استـقصاؤها وحصرها ـ يـكفينا لهذا أن نعلم أنه قد وضع أعـداء الإسلام بشهادة حـماد بن زيد أربعة عشـر ألف حديث، وأن عبد الكـريم بن أبى العوجاء اعتـرف بوضع أربعة آلاف حديث، وأقر مـحرز أبو رجاء القدرى التائـب بأنهم وضعوا أحاديث فى القـدر أدخلت أربعة آلاف إنسان فيـه، وغير هؤلاء كثيرون، فكانت مهمة العلماء شاقة لما يحف بها من الحذر، وما يترتب عليها من الآثار الجليلة فى الدين والدنيا، وبفـضل الله ورحمته ذلك تلك الصـعوبات على أيدى جهـابذة الأمة، الذين شهد بعلمـهم وفضلهم وحسن منهـجهم ودقة قواعـدهم علماء المشرق والمغرب، وحفظت السنة من عبث العابثين وتأويل المغرضين، وتحريف الجاهلين المضلين، وصدق ابن المبارك حـين قيل له: هذه الأحاديث الموضوعة!! فقـال تعيش لها الجهابذة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][1].

---

(١) تدريب الراوى ص١٨٤ والكفاية ص٣٧، والجـرح والتعديل ص١٨ جـ١ وروى عن عبـد الرحمن ابن مهدى نحو هذا فى توضيح الأفكار ص٧٩ جـ٢.

ونستعرض الآن ما بذله علماء الأمة فى سبيل حفظ الحديث الشريف، فقد بحثوا فى كل ما يتعلق بالحديث النبوى رواية ودراية، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامة السنة من العبث، ونحن نلخصها فيما يلى:

أولا: التزام الإسناد:

لم يكن المسلمون فى صدر الإسلام ـ منذ عهد الرسول ﷺ إلى فتنة عثمان ـ يكذب بعضهم بعضا، بل كانت الثقة تملأ صدورهم، والإيمان يعمر قلوبهم، حتى إذا ما وقعت الفتنة، وتكونت الفرق والأحزاب، وبدأ الكذب على رسول الله ﷺ، يتخذ مطية لأهل الأهواء ـ وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف، وأصبحوا يشددون فى طلب الإسناد من الرواة، والتزموه فى الحديث، لأن السند للخبر كالنسب للمرء، ويخبرنا الإمام محمد ابن سيرين عن ذلك فيقول: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[1]».

وهذا لا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يسندون الأحاديث قبل الفتنة بل كان بعضهم يسند ما يروى تارة ولا يسنده أخرى، لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والإخلاص، وهناك أمثلة واضحة تبين إسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة، من هذا ما حدث به على رضى الله عنه البراء بن عازب «أن فاطمة أخبرته أن رسول الله ﷺ أمرها أن تحل، فحلت ونضحت البيت بنضوح[2]». وكان أبو أيوب الأنصارى يحدث عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ ما لم يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام[3]. وقد حدث الصحابة بعضهم عن بعض.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص٨٤ جـ١ وسنن الدارمى ص١١٢ جـ١ ومحمد بن سيرين تابعى جليل ولد سنة ٣٣هـ وتوفى سنة ١١٠هـ انظر ترجمته فى الباب الخامس من هذه الرسالة.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٨٢ :ب.

(٣) انظر: البداية والنهاية ص١٠٩ جـ ٨، وسير أعلام النبلاء ص٤٣٦ جـ٢.

وخلاصة القول أن المسلمين قبل الفتنة لم يلتزموا الإسناد دائما لما كانوا عليه من الصدق والأمانة، علما بأن الإسناد لم يكن طارئا وجديدا على العرب بعد الإسلام، بل عرفوه قبل الإسلام، وكانوا أحيانا يسندون القصص والأشعار فى الجاهلية[1]. وإنما التزم هذا التثبت فى الإسناد بعد الفتنة فى عهد صغار الصحابة وكبار التابعين، وفى هذا يروى الإمام مسلم بسنده المتصل عن مجاهد قال: «جاء بشير العدوى[2] إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، مالى لا أراك تسمع لحديثى، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[3]». وفى رواية عن طاوس «فجعل - بشير- يحدثه فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، ثم حدثه، فقال له: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال له: ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ، إذ لم يكن يُكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه[4]»، وكان بعدهم التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمونه، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبى عن الربيع بن خثيم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو على كل شىء قدير، عشر مرات كن له كعتق رقاب أو رقبة: قال الشعبى فقلت للربيع بن خثيم: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: عمرو بن ميمون الأودى فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت:

---

(١) وقد ينتهى الإسناد إلى الشاعر أو إلى راويته، ولم يكن التزام الإسناد المتصل دائما بل من النادر، أما الإسناد المرسل فهو أكثر و «يكاد يكون ملتزما فى رواية الأدب التزاما لا إخلال فيه» انظر: مصادر الشعر الجاهلى ص٢٥٨.

(٢) هو بشير - مصغرًا - ابن كعب بن أبى الحمير العدوى، أبو أيوب البصرى ثقة، مخضرم من الطبقة الثانية، وفاته قبل سنة مائة من الهجرة. انظر: تقريب التهذيب ص١٠٤ جـ١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨١ جـ١.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٠ جـ١.

من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: عبد الرحمن بن أبى ليلى. فلقيت ابن أبى ليلى فقلت: من حدثك؟ قال: أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله ﷺ[1]» قال يحيى بن سعيد: «وهذا أول ما فتش عن الإسناد[2]».

وقال أبو العالية: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فما رضينا حتى رحلنا إليهم، فسمعناها من أفواههم[3]» وكان التابعون وأتباعهم يتواصون بطلب الإسناد، قال هشام بن عروة: «إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا[4]؟»، وكان الزهرى إذا حدث أتى بالإسناد ويقول: «لا يصلح أن يُرقى السطح إلا بدرجه[5]»، وقال الأوزاعى: «ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد[6]»، وقال سفيان الثورى: «الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل[7]؟»، ويقول عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[8]، وعنه أنه قال: «بيننا وبين القوم القوائم يعنى الإسناد[9]».

وقد أتقن التابعون الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا فى غيره من علوم الحديث وفى هذا يقول أبو داود الطيالسى: «وجدنا الحديث عند أربعة: الزهرى، وقتادة، وأبى إسحاق، والأعمش، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف، والزهرى أعلمهم بالإسناد، وأبو إسحاق أعلمهم بحديث على وابن مسعود، وكان عند الأعمش من كل هذا..[10]».

---

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص١٤: ب، ونظر المحدث الفاصل ص٢٠: أ.

(٢) المحدث الفاصل ص٢٠: أ.

(٣) مقدمة التمهيد ص١٥: أ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٦٨: ب.

(٤) الجرح والتعديل ص٣٤ جـ١.

(٥) المرجع السابق ص١٦ جـ١.

(٦) مقدمة التمهيد ص١٥: ب.

(٧) شرف أصحاب الحديث ص٨٠: ب مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (ب-٣٣٧٣٦) وعن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ص٣٩ جـ١.

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ص٨٧ جـ١.

(٩) المرجع السابق ص٨٨ جـ١.

(١٠) تذكرة الحفاظ ص١٠٨ جـ١.

وأصبح الإسناد أمرًا بدهيًا مسلما به عند العامة والخاصة، ويظهر هذا فيما يرويه الأصمعى فيقول: «حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابى فقال: كيف أصبح الشيخ يرحمه الله؟ فقال سفيان: بخير نحمد الله، قال: ما تقول فى امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت؟ فقال: تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت، فقال: هل من قدوة؟ قال: نعم، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت، فأمرها النبى ﷺ أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف، قال هل من بلاغ عنها؟ قال نعم حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك. قال الأعرابى: لقد استسمنت القدرة، وأحسنت البلاغ، والله لك بالرشاد[1]»، وقال المدائنى سمع أعرابى رجلا يحدث بأحاديث غير مسندة فقال: لم ترسلها بلا أزمة ولا خطم[2]؟».

ولا يطعن فيما قررناه من التزام التابعين للإسناد المفصل ما روى عن بعض التابعين من المراسيل، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعى كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر بإسناده المتصل عن مالك ابن أنس قال: «كنا نجلس إلى الزهرى وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهرى: قال ابن عمر كذا وكذا، فإن كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له: الذى ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به؟ قال: ابنه سالم. وقال حبيب بن الشهيد: قال لى محمد ابن سيرين: سل الحسن ممن سمع حديث العقيقة، فسألته، فقال: من سمرة. قال أبو عمر (ابن عبد البر): فهكذا مراسيل الثقات، إذا سئلوا أحالوا على الثقات. وقال سليمان الأعمش: قلت لإبراهيم: إذا حدثتنى حديثًا فأسنده، فقال: إذا قلت: عن عبد الله يعنى ابن مسعود فاعلم أنه عن غير واحد (عنه)، وإذا سميت أحدا فهو الذى سميت[3]».

ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم، وكانوا يعرفون السند، وإنما لم يذكروه اختصارًا، ويظهر لنا هذا فيما روى عن

---

(١) الكفاية ص٤ - ٤.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، نسخة الإسكندرية ص١٦٤: ب.

(٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص١٠، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعى.

حماد بن سلمة قال: «كنا نأتى قتادة فيقول: بلغنا عن النبى ﷺ، وبلغنا عن عمر وبلغنا عن على، ولا يكاد يسند، فلما قدم حماد بن أبى سليمان البصرة جعل يقول: حدثنا إبراهيم وفلان وفلان، فبلغ قتادة ذلك، فجعل يقول: سألت مطرفًا. وسألت سعيد بن المسيب، وحدثنا أنس بن مالك، فأخبر بالإسناد»[1]، ولم يكونوا يسألونه عن السند لثقة القوم به، ويدل على هذا ما رواه ابن سعد عن معمر قال: «كنا نجالس قتادة ونحن أحداث، فنسأل عن السند، فيقول مشيخة حوله: مه، إن أبا الخطاب سند، فيكسرونا عن ذلك»[2].

ويقول شعبة: «كنت أجالس قتادة فيذكر الشيء فأقول: كيف إسناده؟ فيقول المشيخة الذين حوله. إن قتادة سند، فأسكت، فسكت أكثر مجالسته، فربما ذكر الشيء فأذكره، فعرف مكانى، ثم كان بعد يسند لى»[3].

وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام فى عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى. وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم، ونظموه فى قولهم:

والعلمُ إن فاته إسنادُ مسنده ... كالبيتِ ليس لهُ سقفٌ ولا طنبُ[4]

وكان المحدث بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه، ويطمئن إلى صحة ما ينقل عندما ينتهى سنده المتصل إلى رسول الله ﷺ[5].

(١، ٢) طبقات ابن سعد ص ٧ قسم ٢ جـ٢.

(٣) تقدمه الجرح والتعديل ص ١٦٦: (٤) المحدث الفاصل ص ٢٢: أ.

(٥) ونثبت هنا كلمة للدكتور صارم الدين الأسد عن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث: يقول: «ويبدو لنا أن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث إلى أمرين: أمر داخلى، وآخر خارجى، أما الداخلى فمنبعثه من نفس الراوى، ومصدره شعوره بالتحرج الدينى، وذلك أنه ينقل كلامًا من كلام رسول الله ﷺ، وهو الذى قال فى حديثه المشهور: «من كذب على فليتبوأ مقعده من النار» وفى الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه، ثم التابعين والصحابة - يشتركون معه فى تحمل تبعة هذا الحديث ونقله، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت.

وأما الأمر الخارجى، فمرجعه إلى سامعى الحديث من المحدث، وذلك أن الحديث يتضمن جزءًا كبيرًا من السنة، أو هو السنة كلها، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامى، بل إنه هو المصدر =

ثانيًا: مضاعفة النشاط العلمى والتثبت فى الحديث:

من نعم الله عز وجل على المسلمين أن انبث الصحابة فى الأمصار والبلدان، وكُتِبَ لبعضهم طول العمر ليساهموا فى حفظ السنة المحمدية إثر الفتنة، وبعد ظهور الكذب على رسول الله ﷺ، فكان طلاب العلم يسمعون من الصحابة، وإذا ما سمعوا من غيرهم أسرعوا إلى من عندهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتأكدوا مما سمعوا، فكانوا يبينون لهم الغث من السمين، من هذا ما فعل ابن عباس مع ابن أبى مليكة، قال ابن أبى مليكة: «كتبت إلى ابن عباس أن يكتب لى كتابًا ويخفى عنى[1]. فقال ولد ناصح أنا أختار له الأمور وأخفى عنه. قال: فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشىء فيقول والله ما قضى بهذا علىّ إلا أن يكون ضل»[2].

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة، يقطعون الفيافى والقفار، للتأكد من حديث سمعوه من تابعى عندهم، وهذا معنى قول أبى العالية السابق: كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم، بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض فى سبيل هذا، فقد ارتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر فى مصر[3] ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس فى حديث[4]، وغير هؤلاء ممن سبق ذكرهم.

= الثانى الذى يلى فى القيمة كتاب الله، فلذلك كان من التدقيق والتحقيق، ومما يبعث الطمأنينة فى نفوس السامعين، ويوحى إليهم بالثقة فى حديث المحدث - أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول». مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(١) يخفى عنى أى يكتم عنى أشياء ولا يكتبها. انظر: صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٢ جـ١، ولعله كان يخفى عنه ما لا يثق بصحته.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٢ جـ١.

(٣) انظر: جامع بيان العلم ص ٩٣ جـ١.

(٤) انظر: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨: ب، وجامع بيان العلم ص ٩٣ جـ١، وتهذيب التهذيب ص ١٤٩، ١٥٠ جـ٥.

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا على نطاق واسع من التنقل والارتحال فى سبيل تحمل الحديث عن الثقات ومذاكرة الأحاديث، فهناك من ارتحل إلى أبى الدرداء لحديث عنده فى دمشق[1]، كما رحل ابن شهاب إلى الشام إلى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوة، ورحل يحيى بن أبى كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصحابة، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة ليلقى عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن ابن أبى ليلى، ورحل الأوزاعى إلى يحيى بن أبى كثير باليمامة ودخل البصرة، كما رحل سفيان الثورى إلى اليمن[2]... وقال سعيد بن المسيب: «إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد»[3] وعن الزهرى عن ابن المسيب «إن كنت لأسير ثلاثًا فى الحديث الواحد»[4].

وقد كان مسروق كثير الرحلة فى طلب الحديث ومذاكرته[5]. وحدث الشعبى بحديث ثم قال لسامعه: «خذها بغير شىء، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»[6].

وكثيرًا ما كان التابعون وأتباعهم يتذاكرون الحديث، فيأخذون ما عرفوا ويتركون ما أنكروا، قال الإمام الأوزاعى «كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركناه»[7] وكانوا دائمًا يرجعون إلى من يثقون به، فإذا ما اختلف سعيد وأبو هلال وشعبة فى قتادة رجعوا إلى هشام الدستوائى[8]، وإذا اختلف شعبة وسفيان الثورى قالا:

---

(١) انظر: الجرح والتعديل ص ١٢ جـ١.
(٢) انظر: المحدث الفاصل ص ٣١: أ.
(٣) جامع بيان العلم ص ٩٤ جـ١، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ جـ١ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٩: أ.
(٤) المحدث الفاصل ص ٢٨: ب.
(٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ جـ١.
(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢ ونحوه فى ٩٣، ٩٤ جـ١.
(٧) الجرح والتعديل ص ٢١ جـ١ والمحدث الفاصل ص ٦٤: أ.
(٨) انظر: المحدث الفاصل ص ٧٦: أ وسعيد أرجح أنه ابن أبى صدقة البصرى من الطبقة السادسة، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسى بصرى من الطبقة السادسة مات سنة ١٦٧هـ، وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور من الطبقة السابعة، توفى سنة ١٦٠هـ، وهشام الدستوائى هو ابن عبد الله حافظ مشهور من كبار الطبقة السابعة، توفى سنة ٥٤هـ وله (٧٨) سنة.
انظر: تفصيل تراجمهم فى تهذيب التهذيب.

«اذهبا بنا إلى الميزان مسعر»[1]. وعن الأعمش قال: كان إبراهيم النخعى صيرفيا فى الحديث، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريقى عليه، فأعرض عليه ما سمعت، وكنت آتى زيد بن وهب وضرباءه فى الحديث فى الشهر المرة والمرتين، وكان الذى لا أكاد أغبه إبراهيم النخعى»[2].

وكان أئمة الحديث فى هذا العصر على جانب عظيم من الوعى والاطلاع، فقد كانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث، وليميزوا الخبيث من الطيب، وفى هذا يقول الإمام سفيان الثورى: «إنى لأروى الحديث على ثلاثة أوجه، أسمع الحديث من الرجل اتخذه دينًا، وأسمع من الرجل أقف حديثه، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته»[3] ويروى لنا أبو بكر بن الأثرم «أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء فى زاوية، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس، فإذا طلع عليه إنسان كتمه، فقال له أحمد بن حنبل: تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل: إنك تتكلم فى أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ فقال: رحمك الله يا أبا عبد الله، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة حتى لا يجىء بعده إنسان فيجعل بدل أبان ثابتًا، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك، فأقول له: كذبت إنما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت!»[4].

---

(١) المحدث الفاصل ص ٧٥ ب وسفيان هو ابن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أمير المؤمنين فى الحديث، إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة، كان آية فى الحفظ توفى سنة (١٦١هـ) وله أربع وستون سنة. تهذيب التهذيب ص ١١١- ١١٥ جـ٤ وانظر: طبقات ابن سعد ص ٢٥٧ جـ٦، ومسعر هو ابن كدام الهلالى العامرى، أبو سلمة الكوفى، كان آية فى الحفظ من الطبقة السابعة توفى سنة (١٥٢هـ). تهذيب التهذيب ١١٣ جـ١.

(٢) الجرح والتعديل ص ١٧ جـ١، انظر: ترجمة إبراهيم النخعى فى الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٣) الكفاية ص ٤٠٢، وانظر: الكامل لابن عدى ص ٢ جـ١ وعنه إنى لأكتب الحديث على ثلاثة وجوه.. انظر: الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧: ب.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧: ب.

ثالثًا: تتبع الكذَبة:

إلى جانب احتياط العلماء وتثبتهم فى قبول الأخبار كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنعوهم من التحديث، ويستعدون عليهم السلطان. فقد كان عامر الشعبى «يمر بأبى صالح صاحب التفسير، فيأخذه بأذنه ويقول: ويحك! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ»[1]. وقال الشافعى: «لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، كان يجىء إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان»[2]. وقد كان شعبة شديدًا على الكذابين، قال عبد الملك ابن إبراهيم الجدى الثقة المأمون: «رأيت شعبة مغضبًا مبادرًا فقلت: «مه يا أبا بسطام، فأرانى طينة[3] فى يده وقال: أستعدى على جعفر بن الزبير يكذب على رسول الله ﷺ»[4]. وفى رواية «على هذا يعنى جعفر بن الزبير، وضع على رسول الله ﷺ أربعمائة حديث كذب»[5].

وعن حماد بن زيد قال: كلمنا شعبةَ أنا وعباد بن عباد وجرير بن حازم فى رجل، فقلنا: لو كففت عنه؟ قال: فكأنه لان، وأجابنا، قال: فذهبت يومًا أريد الجمعة، فإذا شعبة ينادى من خلفى فقال: «ذاك الذى قلتم لى فيه لا أراه يسعنى»[6]. وكان شعبة يفعل هذا كله حسبة لله[7].

وعن أحمد بن سنان قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول استعديت على عيسى بن ميمون فى هذه الأحاديث التى يحدثها عن القسم، فقال: لا أعود[8].

---

(١) قبول الأخبار ص ٤٢، وفيه أن أبا صالح اعترف للكلبى بأن كل ما حدثه كان كذبًا.

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩: أ.

(٣) هكذا فى الأصل. والطينة واحدة الطين وهو الوحل، ولعل الراوى أراد بها (اللبنة) بفتح اللام وكسر الباء واحدة: اللبن التى يبنى بها الجدار، ولعله قال ذلك باعتبار أصلها.

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩: ب.

(٥) تهذيب التهذيب ص ٩١ جـ٢.

(٦ و٧) انظر: الجرح والتعديل ص ٢١ جـ١.

(٨) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٠: ب ويروى نحو هذا عن أبى الوليد الطيالسى انظر: تهذيب التهذيب ص ٢٤٢ جـ١٠.

وكان الإمام سفيان الثورى شديداً على الكذابين، لا يتوانى عن إظهار عيوبهم، وفى هذا يقول ابن أبى غنيّة: «ما رأيت رجلاً أصفق وجهًا فى ذات الله من سفيان الثورى رحمه الله»[١]. وحدث حماد المالكى[٢] ـ وكان كذابًا ـ حديثًا فجاءه عمرو الأنماطى وقال له: «والله لا تفارقنى حتى أستعدى عليك، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن، وحلف لا يحدث به، (قال) فكتبت عليه كتابًا وأشهدت عليه شهودًا»[٣]، وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء، فيضربونهم ويهددونهم بالقتل، روى الإمام مسلم بإسناده المتصل عن حمزة الزيات قال: «سمعَ مرّةُ الهَمْدانى من الحارث (الأعور) شيئًا فقال له: اقعد بالباب، قال: فدخل مُرّةُ وأخذ سيفه، قال: وأحس الحارث بالشر فذهب»[٤].

وكان نتيجة هذا أن توارى كثير من الكذابين، وكفوا عن كذبهم، كما أصبح عند العامة وعى جيد: يميزون به بين المتطفلين على الحديث وأهله ورجاله الثقات، ويدل على هذا ما وراه ابن حجر عن يزيد بن هارون قال: «كان جعفر ابن الزبير وعمران بن حُدَيْر فى مسجد واحد مصلاهما، وكان الزحام على جعفر بن الزبير وليس عند عمران أحد، وكان شعبة يمر بهما فيقول: يا عجبا للناس! اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس، قال يزيد: فما أتى عليه قليل حتى رأيت ذلك الزحام على عمران، وتركوا جعفرًا وليس عنده أحد»[٥]، وكان الناس لا يجرؤون على الكذب فى زمن سفيان الثورى، لأنه كان شديداً على الكذابين: يكشف عنهم، ويبين عوارهم، وفيه قال قتيبة بن سعيد: «لولا سفيان الثورى لمات الورع»[٦].

---

(١) الكامل لابن عدى ص ٢ جـ١.

(٢) هو حماد بن مالك ويقال المالكى شيخ روى عن الحسن رموه بالكذب ص ٢٨٢ جـ١ ميزن الاعتدال.

(٣) المحدث الفاصل ص ٦٣: ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع: ١٥٠: أ.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٩ جـ١، وكان الحارث الأعور كذابًا من غلاة الشيعة توفى سنة (٦٥هـ) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٨، ٩٩ جـ١ وانظر ميزان الاعتدال ص ٢٠٢ جـ١، ومرة هو ابن شراحيل الهمدانى أبو إسماعيل الكوفى تابعى ثقة عابد جليل توفى سنة (٧٦هـ) انظر: تهذيب التهذيب ص ٨٨، ٨٩ جـ١٠.

(٥) تهذيب التهذيب ص ٩١ جـ٢.

(٦) الكامل لابن عدى ص ٢ جـ١.

رابعًا: بيان أحوال الرواة:

وكان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من معرفة رواة الحديث، معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم، حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم، وتتبعوهم فى مختلف حياتهم، وعرفوا جميع أحوالهم، كما بحثوا أشد البحث (حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة»[1]. وقد قال سفيان الثورى: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا التاريخ»[2].

وكانوا يبنون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله، لا تأخذهم خشية أحد ولا تتملكهم عاطفة، فليس أحد من أهل الحديث يحابى فى الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده، فهذا زيد بن أبى أنيسة يقول: «لا تأخذوا عن أخى!!!»[3] وقال على بن المدينى لمن سأله عن أبيه: «سلوا عنه غيرى، فأعادوا المسألة، فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: هو الدين، إنه ضعيف»[4]، «وكان وكيع بن الجراح لكون والده كان على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه»[5].

وكان أئمة النقاد يعينون أيامًا للتكلم فى الرجال وأحوالهم، قال أبو زيد الأنصارى النحوى: «أتينا شعبة يوم مطر، فقال ليس هذا يوم حديث، اليوم يوم غيبة، تعالوا نغتاب الكذابين»[6]. وكانوا يأمرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوى الذى يكثر غلطه، والمتهم فى حديثه، قال عبد الرحمن بن مهدى: «سألت شعبة وابن المبارك والثورى ومالك بن أنس عن الرجل يُتهم بالكذب، فقالوا: انشره، فإنه دين»[7]، وعن يحيى بن سعيد قال: «سألت سفيان الثورى وشعبة، ومالكًا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتًا فى الحديث، فيأتينى الرجل فيسألنى عنه، قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت»[8].

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٨: ب.

(٢) الكامل لابن عدى ص ٤: جـ٣، والكفاية ص ١١٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٢١ جـ١.

(٤، ٥) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦.

(٦) الكفاية ص ٤٥.

(٧) مقدمة التمهيد ص ١٢: ب.

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٢ جـ١

وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم عن الرواة، من ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبرى عن أبيه قال: «كتبت إلى شعبة أسأله عن أبى شيبة قاضى واسط، فكتب إلىّ: لا تكتب عنه، ومزق كتابى»[1].

وكان النقاد يدقون فى حكمهم على الرجال، يعرفون لكل محدث ما له وما عليه، قال الشعبى: «والله لو أصبت تسعًا وتسعين مرة وأخطات مرة لعدّوا علىّ تلك الواحدة»[2]. وكانت المظاهر لا تغريهم، وكل ما يهمهم أن يخلصوا العمل لله، ويصلوا إلى ما ترتاح إليه ضمائرهم، لخدمة الشريعة ودفع ما يشوبها، وبيان الحق من الباطل، قال يحيى بن معين: «إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة منذ أكثر من مائتى سنة»[3] قال السخاوى: «أى أناس صالحون، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث»[4].

وعن أبى بكر بن خلاد، قال: قلت ليحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى؟ قال: قال: لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلى من أن يكون خصمى رسول الله ﷺ يقول: «لِمَ حدثت عنى حديثًا ترى أنه كذب[5]»؟

وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذى وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية متأسين برسول الله ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات: ٦]. وقال النبى ﷺ فى الجرح: «**بئسَ أخو العَشيرةَ**»، وفى التعديل: «**إنَّ عبدَ الله رجلٌ صالحٌ**[6]»، وقال السخاوى: (وأما المتكلمون فى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١١٠ جـ١.
(٢) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ جـ١.
(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع من ١٦٠: أ.
(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢.
(٥) الكفاية ص٤.
(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٥٢، وانظر: الكفاية ص٣٨، ٣٩.

الرجال فخلق من نجوم الهدى ومصابيح الظلام المستضاء بهم فى دفع الردى، لا يتهيأ حصرهم فى زمن الصحابة رضى الله عنهم، سرد ابن عدى فى مقدمة كامله منهم خلقًا إلى زمنه (٢٧٧ - ٣٦٥هـ) فالصحابة الذين أوردهم: عمر، وعلى، وابن عباس، وعبد الله بن سلام، وعبادة بن الصامت، وأنس، وعائشة - رضى الله عنهم، و«أورد»[١] تصريح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله، وسرد من التابعين عددًا كالشعبى، وابن سيرين، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف فى متبوعهم، إذ أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات، ولا يكاد يوجد فى القرن الأول الذى انقرض فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد، كالحارث الأعور، والمختار الكذاب.

فلما مضى القرن الأول ودخل الثانى كان فى أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالبًا من قبل تحملهم وضبطهم للحديث.

فلما كان عند آخرهم[٢] عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم فى التوثيق والتجريح طائفة من الأئمة، فقال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر الجعفى، وضعف الأعمش جماعة ووثق آخرين، ونظر فى الرجال شعبة وكان متثبتا لا يكاد يروى إلا عن ثقة، وكذلك كان مالك، وممن إذا قال فى هذا العصر قُبل قوله: معمر، وهشام الدستوائى، والأوزاعى، والثورى، وابن الماجشون، وحماد بن سلمة، والليث بن سعد، وغيرهم، ثم طبقة أخرى بعد هؤلاء: كابن المبارك، وهشيم، وأبى إسحاق الفزارى، والمعافى بن عمران الموصلى، وبشر ابن المفضل، وابن عيينة، وغيرهم. . . .[٣]» وقد بين هؤلاء من تقبل روايته ومن لا تقبل، وتكلموا فى العدالة وموجباتها، وفى الجرح وأسبابه، وقد نص عمر رضى الله عنه فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى على العدالة، ووضع أول الأسس

---

(١) ليست فى النص زدناها لتستقيم العبارة.

(٢) أى ما كان عند آخر التابعين انتهاء عصر التابعين.

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٦٣، ١٦٤.

فى ذلك، وبين من تقبل شهادته ومن لا تقبل، ولما كانت الرواية، لا تختلف عن الشهادة من ناحية التحمل والأداء، فبوسعنا أن نقول: إن عمر رضى الله عنه قد نص على العدالة التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته، فقد قال رضى الله عنه: «والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجربًا عليه شهادة زور، أو مجلودًا فى حد... فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر[1]» وتكلم بعده الصحابة والتابعون، وبينوا من تترك روايته مطلقًا، ومن لا تقبل روايته ولو تاب، كالوضاعين الكاذبين على رسول الله، وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب، قال الإمام مالك: «لا يؤخذ العلم عن أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك: لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سَفيهٍ معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث[2]». وقيل لشعبة بن الحجاج: متى يترك حديث الرجل؟ قال: إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر، وإذا أكثر الغلط، وإذا اتهم بالكذب، وإذا روى حديثًا غلطًا مجتمعًا عليه فلم يتهم نفسه فيتركه، طُرِح حديثه، وما كان غير ذلك فاروا عنه[3]».

وقال الإمام الشافعى: «كان ابن سيرين، وإبراهيم النخعى، وطاوس، وغير واحد من التابعين ـ يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ، وما رأيت أحدًا من أهل الحديث يخالف هذا المذهب»[4].

هكذا بين جهابذة هذا العلم ـ منذ صدور الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف ـ أحوال الرواة: المقبول منهم والمتروك. وتكامل علم الجرح والتعديل، وألفت مصنفات ضخمة فى الرواة وأقوال النقاد فيهم، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون

---

(١) إعلام الموقعين ص٨٦ جـ١.

(٢) المحدث الفاصل ص٧٩: أ -٧٩: ب، والجرح والتعديل ص٣٢ جـ١، والكفاية ص١١٦.

(٣) الجرح والتعديل ص٣٢ جـ١ والمحدث الفاصل ص٨١: ب-٨٢: أ وروى نحو هذا عن ابن المبارك انظر: الكفاية ص١٤٣، وأيضا نحوه عن الإمام أحمد انظر: الكفاية ص١٤٤.

(٤) مقدمة التمهيد ص١٠: ب.

والضعفاء بالعدول الثقات، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة بالضعفاء والمتروكين، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب فى كل عصر، وقد بنى النقاد حكمهم فى الرواة على قواعد دقيقة، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم نتاج فى هذا المضمار، يفخر به المسلمون أبد الدهر، وتعتز به الأمة الإسلامية التى شهد لها كبار العلماء بأياديها البيضاء فى خدمة السنة الشريفة، قال المستشرق الألمانى «شبرنجر» فى تصدير كتاب الإصابة لابن حجر ـ طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ - ١٨٦٤ -: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت فى علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون فى هذا العلم العظيم الخطر، الذى يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم[1] . . . .»

ولم يكتف العلماء بالتزام الإسناد، والتثبت من الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين، وبمراجعتها ومقارنتها ومعرفة طرقها وأسانيدها ومعرفة رواتها وأحوالهم، والثقة منهم والمجروح، بل قسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من المردود، والقوى من الضعيف، فقسموه إلى صحيح وحسن وضعيف، وبينوا حد كل منها وما يندرج تحته، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفًا عند المحدثين فى القرن الهجرى الثانى، وإنما عرف بعد ذلك، ويعتبر كتاب الترمذى أصلاً فى معرفة الحسن[2]، كما (يوجد ـ الحسن ـ فى متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله، كأحمد والبخارى وغيرهما[3]) وتكلموا فى أنواع الضعيف، وبنوا ذلك فى منشأ الضعف من السند أو المتن، وقد قسمه ابن حبان تسعة وأربعين قسمًا[4]، وقسمه ابن الصلاح أقسامًا كثيرة باعتبار الصفة التى فقدها من صفات القبول الستة، وهى: الاتصال، والعدالة والضبط، والمتابعة فى المستور، وعدم الشذوذ، وعدم العلة، وباعتبار فَقْدِ صفة مع صفة أخرى تليها

(١) أضواء على التاريخ الإسلامى ص١٣٦.

(٢) انظر: اختصار علوم الحديث ص٤٣.

(٣) الباعث الحثيث ص٤٤ أى فى كلام بعض مشايخ الترمذى.

(٤) انظر: تدريب الراوى ص١٠٥.

أولاً، أو مع أكثر من صفة إلى أن تفقد الستة، فبلغت فيما ذكره العراقى فى شرح الألفية اثنين وأربعين قسمًا[1]، وقسمه غيره إلى أنواع أكثر من ذلك لا يتسع المجال لذكرها.

خامسًا: وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث:

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه، وذكروا ما يدل على الوضع فى سند الحديث، وما يدل عليه فى متنه، وسنوجز هذه العلامات فيما يلى:

(أ) علامات الوضع فى السند:

١- أن يعترف راوى الحديث بكذبه، ويقر باختلاقه ما يروى: كما أقر عبد الكريم الوضاع، وأبو عصمة نوح بن أبى مريم، وكما اعترف أبو جزى وهو مريض فقال: «لولا أنه حضرنى من الله ما ترون كنت خليقا ألا أقر ولا أعترف، ولكنى أشهدكم أنى وضعت من الحديث كذا وكذا، وإنى أستغفر الله منها وأتوب إليه[2]». وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعا.

٢- وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع: كأن يروى عن شيخ لم يلقه، أو يروى عن شيخ فى بلد لم يرحل إليه، أو يروى عن شيخ ولد بعد وفاته، أو توفى هذا الشيخ والراوى صغير لا يدرك، قيل لشعبة: لم لا تحدث عن عثمان ابن أبى اليقظان، وهو عثمان بن عمير؟ فقال: كيف أحدث عن رجل كنت جالسا معه فسألته عن سنه، فأخبرنى بمولده ثم حدث عن رجل قد مات قبل أن يولد[3]!؟ وإن هذا الصنف لا يمكن معرفته إلا بمعرفة مولد الشيوخ ووفاتهم، والبلدان التى رحلوا إليها، والأماكن التى أقاموا فيها، كيلا يستغل الوضاعون الشيوخ الثقات لترويج ما يضعون، وقد وفق علماء الأمة فى هذا، فقسموا الرواة طبقات، وعرفوا

---

(١) انظر تدريب الراوى ص١٠٥، وفتح المغيث ص٥٥ جـ١.

(٢) قبول الأخبار ص٦.

(٣) قبول الأخبار ص١٦.

كل شيء عنهم، ولم يخف عليهم من أحوالهم شيء، وفى هذا قال حفص بن غياث: «إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالتاريخ - يعنى احسبوا سنه وسن من كتب عنه - وقال حسان بن زيد: لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ، نقول للشيخ: كم سنه؟ وفى رأى تاريخ ولد؟ فإن أقر بمولده عرفناه صدقه من كذبه[1]».

٣- أن يتفرد راو معروف بالكذب برواية حديث، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع وقد استقصى جهابذة الأمة الكذابين، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد.

٤- ومن القرائن التى يدرك بها الوضع، ما يؤخذ من حال الراوى، كما وقع للمأمون بن أحمد، أنه ذكر بحضرته الخلاف فى كون الحسن سمع من أبى هريرة أولا، فساق فى الحال إسناده إلى النبى ﷺ أنه قال: سمع الحسن من أبى هريرة[2].

ومن هذا ما ذكرناه عن سيف بن عمر الذى روى خبر وضع سعد بن طريف لحديث «معلمو صبيانكم شراركم. . .»[3].

***

(ب) علامات الوضع فى المتن:

مقدمة: قال الإمام ابن قيم الجوزية: (وسئلت: هل يمكن معرفة الموضوع بضابط، من غير أن ينظر فى سنده؟ فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بدمه ولحمه، وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة رسول الله ﷺ وهديه، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة

(١) تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص٢٦ جـ١.

(٢) قواعد التحديث ص١٣٣ وقيل لمأمون بن أحمد الهروى: ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان؟ فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله. . عن أنس مرفوعًا يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من إبليس. انظر: تدريب الراوى ص١٨١.

(٣) انظر: ص ١٨٠، ١٨١ فى الفصل السابق من هذا الباب.

بحيث كأنه مخالط لرسول الله ﷺ كواحد من أصحابه، ومثل هذا يعرف ـ من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر عنه، وما لا يجوز ـ ما لا يعرفه غيره، وهذا شأن كل متبع مع متبوعه، فللأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح ـ ما ليس لمن لا يكون كذلك. وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم: يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم ـ مالا يعرفه غيرهم)[1].

قال ابن دقيق العيد: «وكثيراً ما يحكمون بذلك (أي بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي ﷺ هيئة نفسانية وملكة يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز، . . . فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى[2]».

ومن القرائن التي تدل على الوضع في المتن:

١- ركاكة اللفظ في المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها. قال الحافظ ابن حجر: «المدار في الركة على ركة المعنى، فحيثما وجدت دلت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ، لأن الدين كله محاسن، والركة ترجع إلى الرداءة، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى، فغير ألفاظه بغير فصيح، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب.»[3].

٢- فساد المعنى: كالأحاديث التي يكذبها الحس، نحو حديث: الباذنجان لما أكل له،[4] والباذنجان شفاء من كل داء[5]، ومنها سماجة الحديث، وكونه مما يسخر منه كحديث: «لو كان الأرز رجلا لكان حليما، ما أكله جائع إلا أشبعه[6]» قال ابن قيم الجوزية: فهذا من السمج البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء، فضلا

---

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص١٥ وانظر: قواعد التحديث ص١٤٨.

(٢) توضيح الأفكار ص٩٤ جـ٢.

(٣) الباعث الحثيث ص٩٠.

(٤، ٥) المنار لابن قيم الجوزية ص١٩.

(٦) المنار لابن قيم الجوزية ص٢٠.

عن كلام سيد الأنبياء[1]، وحديث: من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر[2]، وكل ما يدل على إباحة المفاسد والسير وراء الشهوات كحديث: ثلاثة تزيد فى البصر: النظر إلى الخضرة، والماء الجارى، والوجه الحسن[3]. وحديث: النظر إلى الوجه الجميل عبادة[4]. قال ابن قيم الجوزية: «وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسهم ـ فكذب مختلق، وإفك مفترى[5]».

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل، الذى قصد واضعه الطعن فى أخبار الأنبياء، فإن فى هذا الحديث: (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث، وأن نوحا لما خوفه الغرق، قال له: احملنى فى قصعتك هذه، وأن الطوفان لم يطل إلى كعبه، وأنه خاض البحر، فوصل إلى حجزته، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه فى عين الشمس، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله فى عنقه مثل الطوق[6]).

وكذلك كل حديث يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء، فكيف تصدر عن رسول الله الذى أوتى جوامع الكلم كحديث: «المجرة التى فى السماء من عرق الأفعى التى تحت العرش[7]» وحديث «المؤمن حلو يحب الحلاوة[8]» وحديث «الهريسة تشد الظهر[9]» -كلها وأمثالها من وضع الوضاعين الذين افتروا على رسول الله الكذب، ووضعوا ما يخالف الشريعة وما ينافى رسالة الأنبياء الذين جاءوا يخاطبون أولى الألباب ويأمرون بالمعقول، ولم تكن رسائلهم لتفضيل طعام على طعام، وإثارة الشهوات، ورواية الأساطير والخرافات، والإتيان بما يرده الحق ويرفضه العقل. وفى هذا كلمة لابن الجوزى قال: «ما أحسن قول القائل: إذا

---

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص٢٠.
(٢) المرجع السابق ص٢١.
(٣، ٤، ٥) المنار ص٢٤.
(٦) المرجع السابق ص٢٩، ٣٠.
(٧) المرجع السابق ص٢٣.
(٨، ٩) المنار ص٢٥.

رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع[1]».

٣- ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعى[2]، وما يناقض السنة مناقضة بينة: قال ابن قيم الجوزية: «ومنها[3] مخالفة الحديث صريح القرآن. كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة. ويجيء فى الألف السابعة[4]. وهذا من أبين الكذب، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقى للقيامة من وقتنا هذا[5] مائتان وخمسون سنة. والله تعالى يقول: ﴿**يَسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ**﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ [لقمان: ٣٤] وقال النبى ﷺ: «**لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**[6]».

ومما وضع مناقضًا للسنة مناقضة بينة (أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار. وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه ﷺ: أن النار لايجار منها بالأسماء والألقاب، وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة)[7].

وجميع الأحاديث التى تنص على وصاية على رضى الله عنه أو على خلافته غير صحيحة، وهى موضوعة، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه ﷺ لم ينص على تولية أحد بعده.

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨٠.

(٢) انظر: توضيح الأفكار ص٩٦ جـ٢.

(٣) أى الأمور التى يعرف بها كون الحديث موضوعا.

(٤) لعله يريد أنه يجيء نهاية عمر الدنيا فى الألف السابعة.

(٥) عاش ابن قيم الجوزية من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢هـ).

(٦) المنار ص٣١.

(٧) المنار ص٢٢.

٤- كل حديث يدعى تواطؤ الصحابة على كتمان أمر، وعدم نقله، كما تزعم الشيعة: (أنه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال: «هذا وصي وأخي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا وأطيعوا له» ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره، فلعنة الله على الكاذبين)[1].

٥- كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ، أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه. مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر، كذب من عدة وجوه:

أحدها: أن فيه شهادة سعد بن معاذ، وسعد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق.

الثاني: أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك، حين وضعها النبي ﷺ على نصارى نجران ويهود اليمن.. وبين ابن قيم الجوزية كذب هذا في عشرة أدلة قوية[2].

ومثاله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي وائل قال: خرج علينا ابن مسعود بصفين، فقال أبو نعيم: أتراه بعث بعد الموت[3]. فابن مسعود توفي قبل صفين سنة ٣٢هجرية.

٦- أن يكون خبراً عن أمر جسيم كحصر العدو للحاج عن البيت، ثم لا ينقله منهم إلا واحد، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار في مثل ذلك. قلت: ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين[4].

٧- موافقة الحديث لمذهب الراوي، وهو متعصب مغال في تعصبه، كأن يروي رافضي حديثا في فضائل أهل البيت، أو مرجئي حديثًا في الإرجاء، مثل ما رواه حبة بن جوين قال: سمعت عليا رضي الله عنه قال: عبدت الله مع رسوله قبل أن

---

(١) المنار ص٢٢.
(٢) انظر: المنار ص٣٧-٣٨.
(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ص١١٧ جـ١.
(٤) توضيح الأفكار ص٩٦ جـ٢.

يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين، قال ابن حبان: كان حبة غاليًا فى التشيع، واهيا فى الحديث[1].

٨- اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط فى الثواب العظيم مقابل عمل صغير، مثال ذلك: «من قال لا إله إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له» و «من فعل كذا وكذا، أعطى فى الجنة سبعين ألف مدينة، فى كل مدينة سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف حوراء».

وأمثال هذه المجازفات الباردة التى لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين: إما أن يكون فى غاية الجهل والحمق. وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص بالرسول ﷺ[2].

وإلى جانب هذه القواعد، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله ﷺ، وحفظه ومقارنة طرقه، فأصبحوا يعرفون - لكثرة ممارستهم هذا - ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه، وفى هذا يقول ابن الجوزى: (الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم، وينفر منه قلبه فى الغالب[3]) ويقول الربيع بن خثيم التابعى الجليل - أحد أصحاب ابن مسعود -: «إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها[4]».

هذه أهم القواعد التى وضعها جهابذة علم الحديث لتمييز الموضوع من الصحيح، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعة، وصنفوها حتى

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص١١٨.

(٢) المنار ص١٩.

(٣) الباعث الحثيث ص٩٠.

(٤) معرفة علوم الحديث ص٦٢، والمحدث الفاصل ص٦٣: أ، وانظر: الكفاية ص٤٣١: وذكر الربيع ابن خثيم فى بعض المصادر (خيثم) كما فى كتاب (الجمع بين رجاء الصحيحين) ص١٣٤ جـ١ والصواب (خثيم) كما فى طبقات ابن سعد ص١٢٧ جـ٦ وغيره.

تعرف لأهل العلم ولا تشتبه عليهم، ونلاحظ أن هذه القواعد تناولت الحديث سندا ومتنا، فلم تقتصر جهود العلماء على نقد سند الحديث فقط دون متنه، كما ادعى بعض المستشرقين وأيدهم فى ذلك بعض الكاتبين المسلمين، وسنستعرض بعض آرائهم فى هذا الموضوع، ليظهر لنا بطلان ما ادعو وزيف ما زعموا على ضوء ما بيناه.

***

الفصل الثالث

آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها

أولاً: رأى جولد تسيهر: يقول الدكتور على حسن عبد القادر: (وهنا مسألة جد خطيرة، نجد من الخير أن نعرض لها ببعض التفصيل، وهى (وضع الحديث) فى هذا العصر، ولقد ساد إلى وقت قريب فى أوساط المستشرقين الرأى القائل «بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول والثانى، وأنه ليس صحيحا ما يقال من أنه وثيقة للإسلام فى عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج»، ويقول فى الهامش هذا الرأى الذى تنقله هو رأى جولد تسيهر فى كتابه «دراسات إسلامية»[1]. وقد انتشر رأى (جولدتسيهر) هذا فى الغرب والشرق وأصبح من مسلمات البحث عند المستشرقين، كما أن (جولدتسيهر) نفسه بين رأيه فى السنة واضحا فى كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام». فقد قال: (ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول، أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تَبَيّن هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلى، يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة فى ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه. فالحق أن كل فكرة، وكل حزب وكل صاحب مذهب، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له فى الرأى يسلك أيضا هذا الطريق، ومن ذلك لا يوجد فى دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة. ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر، ومن أجل هذا وضع العلماء علما خاصا له قيمته،

---

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى: ١٢٦، ١٢٧، وانظر: دائرة المعارف الإسلامية مادة (حديث) و Shorter Encyclopadia of Islam by H.A.R. Gibb and J. H. Kramers P, 116

وهو علم نقد الحديث، لكى يفـرقوا بين الصحيح وغير الصـحيح من الأحاديث، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم فى النقد ليست كوجهات النظر عندنا، تلك التى تجد لها مجالا كبيرا فى النظر فى تلك الأحاديث التى اعتبـرها النقد الإسلامى صحيحة غير مـشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا.

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقـدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا، وكان ذلك فى القرن الســابع الهجرى، فقـد جمع فيـها علماء من رجال القـرن الثالث الهجرى أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة، رأوها أحاديث صحيحة)[1].

إن سوء ظن هذا الباحـث فى السنة ظهر فى طيات كتابـه المذكور، فى أبحاث ونقاط كثيـرة، وإنما استشهدت ببعض مـا يتناول بحثنا، ويتجلى لنا مما أوردت عن جولد تسيهر ما يلى:

١- يرى أن أكثر الحديث نتيجة للتطـور الإسلامى السياسى والاجتماعى أى أنه موضوع.

٢- يرى أن رجال الإسلام القدامى (الصحـابة والتابعين) كان لهم يد فى وضع الأحاديث.

٣- إن بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة يسمح لأصحاب المذاهب أن ينتحلوا الأحاديث لدعم مذاهبهم، بل ما من مذهب نظرى أو عملى إلا وقد عزز رأيه فى مخـتلف النواحى العقائدية أو الفـقهيـة أو السياسيـة حتى فى العبـادات بأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة.

٤- وجهة نظر النقاد الـمسلمـين تخـتلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلمون بصحة كثير من الأحاديث التى قرر المسلمون صحتها.

٥- يصور الكتب الستة بأنها ضم لأنواع من الأحـاديث التى كانت مبعثرة رأى جامعوها أنها صحيحة.

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام: ٤٩، ٥٠.

هذه النقاط الخمسة هى خلاصة رأى جولد تسيهر فى الوضع والنقد، وله آراء كثيرة متفرقة خارجة عن إطار بحثنا[1]، وسنناقش هذه النقاط بإيجاز على ضوء ما سبق أن أثبتناه.

١- إن ما ادعاه من أن أكثر الحديث نتيجة للتطور غير صحيح، لأن المسلمين منذ القرن الأول ومن عهد الصحابة كانوا يتثبتون فى قبول الأحاديث، وكانوا يتتبعون الكذابين والوضاعين، وعرفوا الأحاديث الموضوعة والصحيحة. ثم إن القرآن الكريم قد جاء بالقواعد الكلية التى تناسب كل زمان ومكان ولم يتعرض للجزئيات وطرق تنفيذها التى يمكن أن تتبدل وتتغير حسب البيئة والزمان دون أن تؤثر على القواعد الكبرى والأهداف العليا للإسلام، وترك الله تعالى للحكام وسائل التطبيق والتنفيذ فى ظلال الكتاب والسنة والأصول التى تليها. فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى اختلاق أحاديث تبرر ما يقومون به نتيجة لحياتهم الجديدة، فقد كفاهم الله عز وجل هذا بما شرعه لهم من أسس وقواعد خالدة إلى يوم الدين، رضيها لهم ورضوها لأنفسهم، وقد قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

٢- يرى أن رجال الإسلام القدامى لهم يد فى الوضع. فمن هم رجال الإسلام القدامى إذا لم يكونوا الصحابة والتابعين؟ فإذا كان يقصدهم فإننا قد بينا فيما سبق احتراز الصحابة عن ذلك وعدم انغماس كبار التابعين فى حمأة الوضع فلا داعى للتكرار.

٣- إذا كان بعض أهل الأهواء قد استجازوا الكذب على رسول الله ﷺ لدعم أهوائهم فهذا لا يعنى قط أن أصحاب المذاهب الفقهية والسياسية والعقائدية قد اختلقوا الأحاديث لدعم مذاهبهم، ثم لِمَ يظن السوء بهذه المذاهب؟ ولِمَ يدعى كذبها ووضعها بعض الأحاديث؟ يجب أن يعلم كل إنسان أن الاختلافات الفقهية بين الصحابة أو الفقهاء لم يكن مردها هوى فى النفس أو تعصبا فى الرأى، وإنما

(١) تصدى الدكتور مصطفى السباعى للمستشرقين ورد عليهم فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ورد على جولد تسيهر ردا قيما فليراجع هناك ص٣٦٤ وما بعدها.

كـانت لأسبـاب كثـيرة أهمـها أن بعـض الأحاديث وصلت إلى الأئمـة دون بعض فحكموا بها، أو أنها وصلتهم ولكنهـا ثبتت عند بعضهم ولم تثبت عند الآخرين، أو أنها ثبتت عند الجـميع واختلفوا فى الاستنبـاط منها وما إلى هذا[1]، فالفقهاء جميـعا متفـقون على اتباع سنة رسول الله ﷺ. فـهل يعقل من هؤلاء أن يكذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لدعم مذاهبهم!؟ وإنما قامت مذاهبهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وشربت من ينبوع الرسول الصافى عليه الصلاة والسلام.

إن تعـميم جولـد تسيـهر لم يبن على دراسـة موضـوعية لـلمذاهب الفـقهـية والعقائدية بل اكتفى بما وجده عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة، أو بما رآه فى كتب بعـض أتباع الـمذاهب الـفقـهية التى دُسَّ فيها بعض الأحاديث الضـعيفة أو الموضوعـة، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهـب جريا وراء هواه، لدعم رأيه فى وضع أكثر الأحاديث.

٤- إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التى وضعوها فى نقدهم، وقد رأينا دقتهـا وعرفنا قيمتها، فمن الطبيـعى أن تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجـانب، الذين لا يؤمنون برسالة محمـد ﷺ ولا يعتقدون الإيحـاء إليه، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية، لأن كثيرا من الأحاديث التى تتناول العقائد والغيبيات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمى، وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق، فـاختلاف وجهـة نظرهم لا يضيرنا مادمنا قـد سلكنا فى نقدنا وبحثنا أسلم طرق البحث العلمى وأدقها، وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم.

٥- أما رأيه فى الكتب الستة: أنها مجموعة من الأحاديث التى ضمها مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة فى القرن الثالث، ورأوا أنها صحيحة ـ فهذا رأى مردود، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التى بذلوها خلال القرن الأول والثانى فى سبيل صيانة السنة وحفظها، فـالسنة لم تكن مبعثـرة متفرقة، بل كـان معظمها عمليـا، يطبقه

(١) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية وهى رسالة صغيرة جليلة القدر عظيمة النفع.

المسلمون، ويقيمون تعاليم رسول الله ﷺ على هداه، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين، أو على موطن الإسلام الأول، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى القرن الأول والقرون التالية، وذاعت فى الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام، وانتقلت السنة العملية والقولية والتقريرية، جيلا عن جيل، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت فى كتب مصنفة، وفى أجزاء مبوبة فى منتصف القرن الثانى الهجرى على أيدى كبار العلماء والحفاظ، وإن ما جمعه البخارى ومسلم وغيرهما فى القرن الثالث لم يكن مبعثرا، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التى كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة وسيتضح هذا لنا جليا عندما نتكلم عن تدوين السنة.

***

ثانيا: رأى غاستون ويت: كاتب مقال (الحديث) فى التاريخ العام للديانات.

أورد غاستون ويت رأى جولد تسيهر السابق وأيده[1]، وتعرض لنقد الحديث فقال: «وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض. ثم يقول: لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة، ثم جمعه الحفاظ ودونوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا «المتن» ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئًا عليه فى أثناء روايتهم (لأنه كان بالمشافهة)، ومهما كان هذا الرأى صحيحًا فإن المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح[2]».

***

(١) انظر: Hstoilre Générale Des Religons (Islam) P. 366

(٢) Histolre Générale Des Religon S ,P, 465. (Islam)

ثالثا: رأى الأستاذ أحمد أمين:

قال: (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها، ولكنهم ـ والحق يقال ـ عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن، فقل أن نظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبى ﷺ لا يتفق والظروف التى قيلت فيه، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف فى تعبير النبى، أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه، وهكذا، ولم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم، حتى نرى البخارى نفسه ـ على جليل قدره، ودقيق بحثه ـ يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال، كحديث: **«لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة»** وحديث **«من اصطبح كل يوم سبع ثمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل»**[1]).

إن ما ذكره (غاستون ويت) والأستاذ أحمد أمين ـ فيه حيف وظلم للجهود التى بذلها علماء السنة لحفظ الحديث الشريف وتخليصه من كل ما يشوبه فإن علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا نقد متنه، وإن الجهود التى بذلوها فى نقد المتن لا تقل عن جهودهم فى نقد السند، وقد لمسنا تلك الجهود حينما استعرضنا القواعد التى وضعوها لتمييز الموضوع من الصحيح، ونستطيع أن نرد على كل من يدعى أن نقد العلماء كان منصبا على (السند) دون (المتن) بأنهم ـ كما وضعوا علامات لتمييز السند الضعيف من السند الصحيح ـ وضعوا علامات تميز متن الخبر الموضوع عن غيره، وهذه العلامات ثمانية للمتن وأربعة للسند، كما ثبت لدينا، فهل بقيت مع هذا حجة لدعم ذلك الزعم!؟

وأما ما ادعاه (غاستون ويت) من زيادة الرواة شيئا على ما يروونه عن حسن نية، فهذا مدفوع بما حققه العلماء فى أبحاثهم الدقيقة عن زيادة الراوى شيئا على الخبر، وبينوا أن هذه الزيادة قد تكون فى المتن أو فى الإسناد[2]، وما يضيفه

---

(١) فجر الإسلام ص٢١٧ ، ٢١٨.

(٢) انظر: الباعث الحثيث ص٨٠.

الراوى يسمى (المدرج) والإدراج على الحقيقة إنما يكون فى المتن، وبينوا صور المدرج ونصوا على كثير من إدراجات الرواة، فلم يلتبس على علماء الأمة المدرج، بل عرفوا كل ذلك.

ومعظم ما أدرج كان نتيجة لتفسير الشيخ، يسمعه الطالب فيظنه من الحديث.

وقد عرف العلماء هذا، وبينوا أن ما يقع من الراوى خطأ من غير عمد فلا حرج على المخطئ إلا إن كثر خطؤه، فيكون جرحا فى ضبطه وإتقانه[1] ويعرف ما أدرجه الراوى بإقراره، أو بمقارنة طرق الخبر، فيتبين بهذه المقارنة ما أدرج من قبل الراوى. وقد عرف النقاد هذا كله ونصوا عليه.

وأما ما قاله الأستاذ أحمد أمين من أن (البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة، لاقتصاره على نقد الرجال). فهذا حكم لا نوافقه عليه ولا نقول به، لأن ما استشهد به لدعم رأيه لا يثبت هذا بل يعارضه، بل إن حديث «**لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة**» صحيح، وقد فهمه الأستاذ فهما مخالفا للحقيقة، وذهب فى تأويله مذهبا بعيدا كل البعد عن الصواب، فقد رُوى هذا الحديث من طرق عدة فسر بعضها بعضا، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله ﷺ لن يبقى أحد ممن كان موجودا فى عهده ﷺ حين قال هذا النبأ، وفعلا كان هذا الخبر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبق أحد ممن كان فى عهده عليه الصلاة والسلام أكثر من مائة عام، فكل ما فى الأمر أن رسول الله ﷺ بين لأصحابه أنهم لن يعمروا كما عمر من قبلهم من الأمم[2]، ولذلك عليهم أن يجدوا فى طاعاتهم، ويعملوا فى دنياهم لآخرتهم

---

(١) انظر: الباعث الحثيث ص٨٤.

(٢) انظر: فتح البارى ص٢٢٢ جـ١ ذكر البخارى بعض الحديث وبين ابن حجر أقوال العلماء فيه وأشار إلى الحديث كاملا فى (كتاب الصلاة) حيث تفسيره واضح كما بينا، وانظر: تأويل مختلف الحديث ص١١٩، وانظر: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٢٥٩- ٢٦٣ حيث فند الدكتور السباعى أخطاء الأستاذ أحمد أمين ورد عليه ردا مفصلا.

وليس فى هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والمشاهدات التجريبية، ويقول الدكتور مصطفى السباعى: (فأنت ترى أن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجزة من معجزات الرسول ﷺ ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا إليه صاحب فجر الإسلام إلى أن يكون مكذوبا مفترى!)[1].

وأما حديث «**من اصطبح كل يوم سبع ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل**» فقد أخرجه الإمام البخارى فى (كتاب الطب)[2] كما أخرجه الإمام مسلم[3] والإمام أحمد[4]، وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المفيدة بذلك ومنهم من أطلقه، والذى ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة، قال ابن القيم فى زاد المعاد: «والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة، ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به... ونفع هذا العدد من التمر، من هذا البلد، من هذه البقعة بعينها - من السم والسحر بحيث تمنع إصابته - من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن، فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض. هذا خلاصة ما ذكروه فى هذا المقام.

والذى أراه أن المبادرة إلى تكذيب حديث ورفضه لا تصح، إلا إذا وهن طريقه، أو حكم العقل والطب حكما قاطعا بتكذيبه وبطلانه، وهذا الحديث قد صح سنده من غير طريق عن أئمة الحديث، ورواه ثقات عدول لا مجال لتكذيبهم ومتنه صحيح على وجه الإجمال، إذ أثبت للعجوة فائدة، وحض على أكلها ومن المقرر حتى فى الطب الحديث أن العجوة مغذية، مليئة للمعدة، منشطة للجسم، مبيدة للديدان المنتشرة فيه، ولا شك فى أن الأمراض الداخلية: من تعفن الأمعاء

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦١.

(٢) صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ جـ٤.

(٣) صحيح مسلم ص١٦١٨ جـ٣.

(٤) فى مسنده حديث ١٤٤٢، ١٥٢٨، ١٥٧١، ١٥٧٢ جـ٣.

وانتشار الدايدان ـ سموم تودى بحياة الإنسان إذا استفحل أمرها، وإذًا فالحديث من حيث معالجة العجوة للسموم بالجملة صادق لا غبار عليه، أما السحر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسى، وأنه يحتاج إلى علاج نفسى وأن الإيحاء النفسى له أثر كبير فى شفاء المرضى بمثل تلك الأمراض، وإذا أخذنا العجوة على أنها مغذية مفيدة للجسم، مقوية للبنية، قاتلة للديدان، قاضية على تعفن الفضلات وأنها من عجوة المدينة، مدينة النبى ﷺ، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فلا أشك فى أن ذلك يحدث أثرًا طيبًا فى نفس المسحور.

(إنك لا تشك معى فى أن إقدام مؤلف «فجر الإسلام» على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة منه، لا يمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال، مادام سنده صحيحًا بلا نزاع، وما دام متنه صحيحًا على وجه الإجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة ويقينى أنه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية، أو لو كان تمر العالية موجودًا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة، إن لم يكن اليوم ففى المستقبل إن شاء الله)[1]. انتهى ما نقلناه عن الدكتور مصطفى السباعى.

ولم يكتف الأستاذ أحمد أمين بما ذكرناه، بل حاول أن يستشهد بأحاديث عدة على اكتفاء النقاد بنقد السند دون المتن، إلا أنه لم يوفق إلى إثبات ما ادعى بما استشهد به، وما من حديث استشهد به إلا فند العلماء القول فيه، وبينوا طرقه، وأزالوا كل ما قد يستشكله الباحثون وأهل الأهواء[2].

***

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦٣ - ٢٦٦.

(٢) رد أستاذنا الدكتور مصطفى السباعى على الأستاذ أحمد أمين جميع شبهاته ردا علميًا قويًا فليراجع فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢١٢ - ٣٠٣ وما يتعلق بموضوعنا هذا من ٢٦٦ - ٢٧١.

الفصل الرابع

أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات

وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث

كان لظهور الوضع أثر بعيد فى نفوس العلماء حملهم على بذل تلك الجهود العظيمة للمحافظة على الحديث، وكان الوضع من الأسباب القوية التى دفعت العلماء إلى جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه، حرصا منهم على صيانته من عبث الوضاعين. وقد عبر الإمام الزهرى عن هذا فقال: (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا، ولا أذنت فى كتابته[1]).

فصلت القول فى جمع الحديث الشريف وتصنيفه فى الباب الرابع من هذا الكتاب، وفيه يتجلى لنا اهتمام العلماء بجمع الحديث، وتخليصه من الموضوع، ثم حرصهم على تصنيف الصحيح منه.

والآن سنستعرض آثار العلماء فيما صنفوه من كتب كان لها الأثر الطيب فى حفظ الحديث النبوى، فيما يتناول موضوعنا من الرجال وتاريخهم وأحوالهم، وكناهم وألقابهم وأنسابهم وضبط أسمائهم، وبيان الثقات والضعفاء منهم، وما ألف فى الموضوع وغير ذلك ـ وإن كان قد ألف بعد هذا العصر ـ مما كان له فضل فى صيانة الحديث. وتعتبر هذه المؤلفات حصنا منيعا حول الحديث، تتحطم على جنباته سهام أعداء السنة، وستبقى أعظم دليل على اهتمام المسلمين بسنة رسولهم ﷺ ومساهمتهم فى بناء تراث الإنسانية العلمى.

وقد اعتنيت بجمع هذه المؤلفات، وحاولت حصرها مما طالعته من المطبوع منها والمخطوط، ومما ذكره السيد محمد الكتانى فى كتابه (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) الذى ذكر فيه مؤلفات كثيرة فى الحديث وعلومه. وما ذكره الأستاذ عمر كحالة فى كتابه (معجم المؤلفين) وما ذكره الأستاذ خير الدين الزركلى فى (الأعلام)، وما مر علىَّ من كتب لبعض علماء الحديث ورواته

---

(١) تقييد العلم ص١٠٨.

فى طيات تراجمهم مما لم يذكر فى هذه الكتب وما وجدته فى فهارس دور الكتب ـ وكان من العسير حصر جميع ما ألف فى موضوعنا هذا ـ وإذا بى أمام ثروة علمية ضخمة تربى على نيف وخمسين ومائتى مؤلف، ورأيت المقام يضيق عن ذكرها، ولهذا فضلت أن أكتفى بذكر بعض المشهور منها.

أولا: أشهر الكتب التى ألفت فى الصحابة:

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له صحبة، وخاصة من عانى منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول ﷺ، وكانوا يحفظون أسماء كثير منهم، وقد حرص العلماء على حصرهم، وبيان مروياتهم وأحوالهم وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم، وقد جمعت قريبا من أربعين مؤلفا فى الصحابة منها:

١ ـ (معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) فى خمسة أجزاء للإمام الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبى الحسن على بن عبد الله المدينى (١٦١ـ٢٣٤هـ[١]).

٢ ـ (كتاب المعرفة) فى مائة جزء وهو فى معرفة الصحابة للإمام أبى محمد عبد الله بن عيسى المروزى مفتى مرو وعالمها (٢٢٠ـ٢٩٣هـ[٢]).

٣ ـ (كتاب الصحابة) فى خمسة أجزاء للإمام محمد بن حبان أبى حاتم البستى (٢٧٠ـ٣٥٤هـ[٣]).

٤ ـ (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمرى القرطبى المالكى (٣٦٨ـ٤٦٣هـ)، وقد طبع فى مجلدين بالهند سنتى (١٣١٨، ١٣١٩هـ)، ثم طبع أخيرا فى أربعة أجزاء بمصر، وقد سماه بهذا الاسم ظنا منه أنه استوعب الأصحاب، ولكنه فاته كثير منهم، وفيه خمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة[٤].

---

(١) الرسالة المستطرفة ص٩٥.

(٢) الرسالة المستطرفة ص٩٥، ومعجم المؤلفين ص١٣٥ جـ٦.

(٣) الأعلام ص٣٠٦ جـ٦.

(٤) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح الحديث ١٥٩، ١٦١، ٢٥٧) كما طبع الاستيعاب على هامش كتاب الإصابة فى مصر سنة (١٣٢٨هـ) فى أربعة مجلدات، يوجد منها فى دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت رقم (مصطلح الحديث: ٢٢٩، ٢٣٠). واختصر الاستيعاب العلامة محمد ابن يعقوب الخليلى فى كتاب سماه (إعلام الأصابة بأعلام الصحابة) مخطوط فى دار الكتب تحت الرقم (١٠٩ مصطلح). وذيل غير واحد على الاستيعاب.

٥ـ (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) فى خمسة مجلدات للمؤرخ عز الدين أبى الحسن على بن محمد (ابن الأثير) (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ)، وطبع الكتاب سنة (١٢٨٦هـ[١]) فى مصر، وفيه سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون ترجمة.

٦ـ (تجريد أسماء الصحابة) فى جزأين للإمام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى (٦٧٣-٧٤٨هـ)، وقد طبع بالهند سنة (١٣١٠هـ[٢]).

٧ـ (الإصابة فى تمييز الصحابة) للإمام شهاب الدين أحمد بن على الكنانى العسقلانى (ابن حجر) صاحب التصانيف الكثيرة (٧٧٣ـ٨٥٢هـ) وهو أجمع ما كتب فى هذا الباب، وقد طبع سنة (١٨٥٣م) بالهند، ثم طبع فى مصر سنة (١٣٢٣هـ) فى ثمانية أجزاء، جعلت الستة الأولى منها للأسماء، وفيها (٩٤٧٧) ترجمة والمجلد السابع للكنى، وفيه (١٢٥٧) كنية والمجلد الثامن فى تراجم النساء، وهن (١٥٤٥) ترجمة[٣].

٨ـ (الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة) للشيخ يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى (٨١٦ ـ ٨٩٣هـ) وقد طبع فى (٩٢) صفحة بالهندسنة (١٣٠٣هـ)[٤].

٩ـ (در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة) لخاتمة الحفاظ جلال الدين: عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١م). وهو جزء صغير طبع فى أول كتابه (حسن المحاضرة) بمصر سنة (١٣٢٧هـ).

١٠ـ (البدر المنير فى صحابة البشير النذير) للشيخ محمد قائم بن صالح السندى الحنفى القادرى، كان حيا قبل سنة ١١٤٥هـ، وقد ذكر فى كتابه أسماء

---

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ١٠٣).

(٢) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ٢٦٣).

(٣) النسخة التى وصفناها مطابقة لنسخة الهند، محفوظة فى خزانة قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية، وطبعت الإصابة طبعات أخرى مختلفة منها طبعة مصر سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م.

(٤) ذكر فى هذا الكتاب من له رؤيه للرسول ﷺ ورواية فى الصحيحين، وقد رتبه على الحروف، وذكر ما روى له الشيخان فى كتابهما ثم ما اتفقا عليه ثم ما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم وذكر للصحابى من روى عنه من أصحاب الكتب الأربعة. راجع الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية (مصطلح ١٦٢) وهو كتاب مفيد.

الصحابة الذين وردت صحبتهم بطريق الرواية أو بما يدل على الصحبة بأى طريق[1].

وهناك كتب كثيرة استقت من هذه الأصول، كما اختصر بعض العلماء بعض هذه الكتب أو ذيلوا عليها.

فهناك ذيول على (الاستيعاب) لابن عبد البر، كذيل ابن فتحون الأندلسى (ـ٥١٧هـ)، وذيل أبى الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد (ـ ٥٥٨هـ)، وغيرها من الذيول والمختصرات[2].

كما اختصر الإمام السيوطى كتاب الإصابة، وسماه (عين الإصابة فى معرفة الصحابة[3]).

ثانيا: أشهر ما صنف فى تواريخ الرجال وأحوالهم:

وإذا انتقلنا إلى أخبار الرواة وأحوالهم نرى مصنفات مختلفة المنهج.

فمن المحدثين والمؤرخين من صنف كتبه على ترتيب السنين، ومنهم من صنف حسب البلدان، ومنهم من رتب كتبه على الحروف، كما هى الحال فى كتب التراجم، وآخرون جعلوا الرجال على طبقات أو أجيال.

وتتفاوت هذه المصنفات بين إسهاب واختصار، فنرى الإيجاز فى كتب التراجم، والتفصيل فى التواريخ الكبيرة كتاريخ دمشق، وتاريخ بغداد، وتاريخ الإسلام، وقد جمعت نيفًا وتسعين كتابًا أقتصر على ذكر أشهرها، فنستعرض أولا أشهر

---

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضا (تيسير المرام بذكر صحابه أفضل من طاف ببيت الله الحرام أو شموس الهدى فى صحابة المصطفى المقتدى) وهو مخطوط فى (٢٨٧) ورقة مسطرتها ٢١ سطرا: ٢١×١٢ سم توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح: ٣٢٥).

(٢) اختصر الشيخ محمد بن محمد السندروسى الشافعى الطرابلسى (ـ١١٧٧هـ) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وسماه (الشموس المضية فى ذكر أصحاب خير البرية) وهو مرتب على حروف المعجم حذف منه التطويل فى ذكر الأنساب والأشعار. وذكر فيه ما للصحابى من أحاديث فى الصحيحين أو فى أحدهما. والكتاب مخطوط فى (٣١٨) ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا: ٢٠×١٤ سم. فى دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح: ١٣٠).

(٣) الرسالة المستطرفة ص١٥٣.

ما كتب فى التاريخ والتراجم التى تناولت أحوال الرجال، ثم نتناول بالبحث كتب الطبقات.

أ- كتب فى تواريخ الرجال وأحوالهم:

١- (تاريخ الرواة) للإمام يحيى بن معين (١٥٨-٢٣٣هـ) وهو مرتب على حروف المعجم[١]، وله أيضا (معرفة الرجال) و (التاريخ والعلل[٢]).

٢- (التاريخ) فى عشرة أجزاء للمحدث النسابة الإخبارى خليفة بن خياط الشيبانى العصفرى (- ٢٤٠هـ[٣]).

٣- (التاريخ) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)[٤].

٤- (التاريخ الكبير) لسيد الحفاظ وأميرهم الإمام محمد بن إسماعيل البخارى أبى عبد الله (١٩٤- ٢٥٦هـ) وهو تاريخ عظيم ذكر فيه أسماء من روى عنه الحديث، وكأنه حاول استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه، فبلغ عددهم قريبا من أربعين ألفا، بين رجل وامرأة وضعيف وثقة[٥]، وقد قدر شيوخه ومعاصروه تاريخه هذا، حتى إن شيخه الإمام إسحاق بن إبراهيم (ابن راهوية) لما رأى التاريخ لأول مرة فرح به كثيرا، ودخل به على الأمير عبد الله ابن طاهر فقال: «أيها الأمير ألا أريك سحرا[٦]». والكتاب فى أربعة أجزاء كبيرة، رتبه على حروف المعجم [٧]، وفيه قال التاج السبكى: (إنه لم يسبق إليه، ومن

(١) انظر: الرسالة المستطرفة ص٩٦، ٩٧، وتاريخه معروف باسمه (تاريخ ابن معين).

(٢) انظر: معجم المؤلفين ص٢٣٢ جـ١٣.

(٣) انظر: الأعلام ص٣٦١ جـ٢.

(٤) الأعلام ص١٩٢ جـ١.

(٥) الرسالة المستطرفة ص٩٦.

(٦) مقدمة فتح البارى ص٤٨٤.

(٧) بدأ بالمحمدين تعظيما لاسم الرسول ﷺ، وتوج غرة كتابه باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريفين. وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا. ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر (باب إبراهيم ثم باب إسماعيل، ثم باب إسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم باب إياس وهكذا ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له، وقلما يذكر جرحا أو تعديلا وإذا كان صحابيا أشار إلى ذلك).

ألف بعده فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه[1]) وطبع التاريخ الكبير فى ثمان مجلدات فى حيدر آباد[2] سنة (١٣٦١ـ١٣٦٢هـ)، وله أيضا التاريخ الوسط والصغير، وقد طبع التاريخ الصغير بالهند سنة (١٣٢٥هـ) وهو ثمانية أجزاء صغيرة فى مجلد واحد[3].

٥ـ (التاريخ الكبير) للمؤرخ الأندلسى أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى أبى عمر (٢٨٤ ـ ٣٥٠هـ) وهو فى المحدثين، قال ابن الفرضى: بلغ الغاية، وقال ابن خير: خمسة وثمانون جزءا[4].

٦ـ (الهداية والإرشاد فى معرفة أهل الثقة والسداد) لأبى النصر أحمد ابن محمد بن الحسين الكلاباذى (٣٠٦ـ ٣٩٨هـ) ذكر فيه الذين خرجهم الإمام البخارى فى جامعه[5].

٧ـ (تاريخ نيسابور) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى، المعروف بابن البيع (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ) قال فيه السبكى: وهو عندى من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة، ومن نظره عرف تفنن الرجل فى العلوم جميعها[6]، وله أيضا (تراجم الشيوخ)، و (تسمية من أخرجهم البخارى ومسلم)[7].

---

(١) الرسالة المستطرفة ص٩٦.

(٢) انظر: الجزء الأول مطبوعا فى مجلدين فيهما (٢٨٩٤) ترجمة فى خزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (ح ١٠٣٤٠) ويوجد من التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية الأجزاء (١، ٢، ٤) مصورة فى ستة مجلدات عن النسخة المخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالآستانة، ينتهى الجزء الأول والثانى منها فى آخر باب الظاء ويبتدئ الرابع من ترجمة عباس إلى آخر الكتاب. راجع النسخة تحت الرقم (تاريخ: ١٨٩٠).

(٣) توجد عدة نسخ منه فى دار الكتب المصرية منها تحت الرقم (تاريخ ٤٠٢، ٢٧٠٧)..

(٤) انظر: الأعلام ص١٢٦ جـ١، ومعجم المؤلفين ص٢٣٢ جـ١.

(٥) توجد منه نسخ مخطوطة فى دار الكتب المصرية منها نسخة كاملة تحت الرقم (١٦ مصطلح) تم نسخها سنة (٨٢٥هـ) فى (٢١٥) ورقة ومسطرتها ١٧ سطرا: ١٧×١٣,٥ سم ونسخة ثانية مقابلة ومعارضة تحت الرقم (٧٦ مصطلح) تم نسخها فى سنة (٥٤٤) وفى أول هذه النسخة نقص. ورتبه على حروف المعجم وبدأ باب الألف بمن اسمه أحمد وباب الميم بمن اسمه محمد تشريفا لاسمه ﷺ.

(٦) ومما يؤسف له أن الكتاب مفقود، وقد اطلعت على قطعة منقولة ومنتخبة منه فى (٧٤) لوحة فى فيلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تاريخ)، فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية.

(٧) الأعلام ص١٠١ جـ٧، والرسالة المستطرفة ص٩٩.

٨- (تاريخ بغداد) لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد البغدادى الشافعى المعروف بالخطيب البغدادى (٣٩٢-٤٩٣هـ) وهو من أجل الكتب وأعودها فائدة، ذكر فيه رجالها ومن ورد إليها وضم إليه فوائد جمة، وقد رتبه على حروف المعجم، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين، وعليه ذيولات متعددة، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٩هـ - ١٩٣١م) فى أربعة عشر جزءا تضم (٧٨٣١) ترجمة.

٩- (السابق واللاحق فى تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد) للخطيب البغدادى أيضا[١].

١٠- (الجمع بين رجال الصحيحين): صحيح البخارى ومسلم للإمام الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى المعروف بابن القيسرانى الشيبانى (٤٤٨-٥٠٧هـ) جمع فيه بين كتابى أبى نصر الكلاباذى وأبى بكر أحمد بن على الأصبهانى فى رجال البخارى ومسلم. وطبع هذا الكتاب بالهند سنة (١٣٢٣هـ) فى (٦٣٨) صفحة فى مجلدين[٢]. وللمؤلف أيضا (تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) مجلدان و (إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسمه من النساء والرجال)[٣] وله (المغنى فى أسماء رجال الحديث) طبع فى آخر (تقريب التهذيب) بالهند سنة(١٣٢٠هـ).

١١- (تاريخ دمشق) فى ثمانين مجلدا أو أكثر[٤]، للحافظ المؤرخ أبى القاسم

---

(١) انظر: المخطوط رقم (٣٨١ مصطلح) فى دار الكتب المصرية وهو فى (١٤٨) لوحة مصورة، يذكر فى هذا الكتاب من روى عنه راويان أو أكثر وبين وفاتيهما أمد كبير مثال ذلك (احمد بن محمد بن حنبل.. وحدث عنه أبو عبد الله بن إدريس الشافعى.. وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى، وبين وفاتيهما مائة وثلاث عشرة سنة).

(٢) انظر: نسخ دار الكتب المصرية منها تحت رقم (١٧١، ٢٦٤ مصطلح وقد) استدرك المقدسى فى كتابه هذا ما فات الكلاباذى والأصبهانى، واختصر بعض ما يستغنى عنه من الطويل، ورتبه على حروف المعجم، وابتدأ حرف الألف بمن اسمه (أحمد) وحرف الميم بمن اسمه (محمد) تبركا باسمه ﷺ، ويترجم أولا لمن اتفقا عليه ثم لمن أفرده البخارى ثم لمن أفرده مسلم.

(٣) الأعلام ص٤١ جـ٧.

(٤) انظر: الرسالة المستطرفة ص٩٩ وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من حل دمشق من أماثل البرية، واجتاز بها أو بأعمالها من ذوى الفضل والمزية.. والفقهاء والقضاة العلماء.. وإيراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية عنها... وقد رتبه على التراجم وبدأ بمن اسمه (أحمد) تبركا باسمه ﷺ، وسلك فى تأليفه مسلك الخطيب البغدادى فى تاريخه، يوجد منه فى دار الكتب المصرية فى قسم المخطوطات (٣٧مجلدا).

على بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقى (٤٩٩ـ٥٧١هـ) وهو كتاب عظيم جامع، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر)، طبع منه سبعة أجزاء فى دمشق ابتداء من سنة (١٣٢٩هـ) ولابن عساكر أيضا (تاريخ المزة)، و (معجم النسوان)، و (معجم الشيوخ والنبلاء[١])، و (المعجم المشتمل على أسماء الكتب الستة)، قال فى مقدمته: أما بعد، (فإنى لما أخرجت أحاديث كتب السنن للأئمة الأول ورتبتها ترتيبا لا يفضى بالناظر إلى السآمة والملل، رأيت أن أجمع أسماء شيوخهم الثقات النبل، وأضيف إليها أسماء شيوخ البخارى ومسلم[٢]).

١٢ـ كتاب (الكمال فى أسماء الرجال) فى مجلدين[٣] للحافظ أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الجماعيلى الحنبلى الدمشقى (٥٤١ ـ ٦٠٠هـ).

١٣ـ (جامع الأصول لأحاديث الرسول[٤]) لمجد الدين أبى السعادات: مبارك ابن محمد المعروف بابن الأثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ).

١٤ـ (المعجم) فى تاريخ المحدثين فى ثمانية عشر جزءا. لأبى المظفر عبد الكريم بن منصور السمعانى (.. ـ ٦١٥هـ[٥]).

١٥ـ (التدوين فى ذكر أخبار قزوين) لأبى القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ) ذكر فيه خصائصها، وما ورد فيها من الأخبار النبوية والآثار، وفى أسمائها، ومن وردها من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن عرف بنوع من العلم والدراسة من سكانها وأهلها، ومن توطنها وغيرهم، ورتب

---

(١) انظر: الأعلام ص٨٢ جـ٥.

(٢) راجع مخطوطة دار الكتب المصرية (مصطلح:٣٣٧) وهى فى (١٠٠) ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا.

(٣) راجع النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥ مصطلح) وهى ثلاثة أجزاء فى مجلدين فى (٣٧٧ و ٢٩٠) ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا.

(٤) يوجد من الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية مجلد واحد فيه الجزءان التاسع والعاشر، وبه ينتهى الكتاب، وهو فى أسماء الرجال والصحابة، فى (٢٥٥) ورقة ومسطرتها: ٢٧ سطرا: ١٨×٢٧ سم تحت رقم (مصطلح:٢٢٥ طلعت).

(٥) انظر: الرسالة المستطرفة ص١٠٣.

التراجم على الحروف وابتدأه بذكر المحمدين تبركا بالرسول الله ﷺ، وهو فى أربعة مجلدات مصورة فى دار الكتب المصرية[1].

١٦ـ (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) للحافظ محمد بن عبد الغنى ابن أبى بكر معين الدين: (ابن نقطة) الحنبلى البغدادى (ـ٦٢٩هـ[2]) وقد ذيل عليه تقى الدين محمد بن أحمد الحسينى الفاسى المكى المالكى (ـ٨٣٢هـ)[3].

١٧ـ (تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى الدمشقى (٦٥٤-٧٤٢هـ)؛ وهو تهذيب لما جمعه الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى فى كتابه (الكمال فى أسماء الرجال): رجال البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فرتب المزى فى تهذيبه عامة رواة العلم وحملة الآثار وعامة المشهورين من كل طائفة من طوائف أهل العلم على حروف المعجم، ثم ذكر أسماء النساء، وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ ـ ٧١٢هـ) وهو خمسون جزءًا فى اثنى عشر مجلداً[4].

١٨ـ (تذهيب تهذيب الكمال)[5] للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (٦٧٣ـ ٧٤٨هـ) وفيه اختصر (تهذيب الكمال) للمزى ثم اختص أيضًا فى كتابه (الكاشف عن رجال الكتب الستة)، واقتصر فيه على من له رواية فى هذه الكتب،

---

(١) انظر: الكتاب فى خزانة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٤٨: تاريخ).

(٢، ٣) جمع فيه كل من علمه روى شيئا من كتب السنة كالموطأ والصحيحين والسنن الأربعة ، وصحيح ابن حبان ومن المعاجم والمسانيد للإمامين الشافعى وابن حنبل، ومن كتب السير والتواريخ والأدب للبيهقى.

انظر: النسخة الموصوفة فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٠٨٨٦) وهى مصورة فى (٣١٧) لوحة فى كل لوحة صفحتان، ومسطرتها ٢٥ سطرا: ٢٢×٢٦ سم.

(٤) توجد نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقم (٢٥ مصطلح) وقد كتبت العشرة المجلدات الأولى بين سنتى (٧٤٠ و٧٤٨هـ) وعدة أوراق الجميع على التوالى: ٣٩١ /٤٠٨/ ٣٢٢/ ٤١١/٤٥٦/٤٠٣/ ٣٧٤ / ٤٢٦/ ٣٩٢/ ٣٧٥/ ٣٥٤/ ٣٣٦ ورقة. وقد استدرك المحدث الحافظ علاء الدين مغلطاى (٦٩٠- ٧٦٢هـ) على ما فات المزى فى (تهذيب الكمال) فى كتاب سماه (إكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) فى (١٣) مجلداً، انظر: معجم المؤلفين ص ٣١٣ جـ١٢ واختصر تهذيب الكمال وأضاف عليه محمد بن على الحسينى انظر: الأعلام ص ١٧٧ جـ٧.

(٥) وهو فى خمسة أجزاء مخطوطة، يوجد منها فى دار الكتب المصرية الأجزاء (١ و٢ و٣ و٥) وهى نسخة مقابلة ومصححة فى حياة المؤلف سنة ٧٣٦هـ أوراقها على التولى: (٢٢٠/٢٤٨/٢٠٧/١٩٩) =

ووضع رموزًا لمن أخرج له من أصحاب الكتب الستة أو أحدهم أو بعضهم، وذكر تواريخ وفياتهم، ورتبه على حروف المعجم، وبدأ في حرف الألف بالأحمدين، وفي حرف الميم بالمحمدين، تشريفًا لاسمه عليه الصلاة والسلام[1].

١٩ ـ (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام) للإمام الذهبي أيضًا.

جمع فيه بين الحوادث والوفيات ورتبه على السنين، فابتدأه من الهجرة النبوية، وانتهى فيه إلى آخر سنة (٧٠٠هـ) وقسمه إلى سبعين طبقة، وجعل كل طبقة عشر سنين، ورتب أسماء كل طبقة على ترتيب حروف المعجم، والحوادث على السنين في ستة وثلاثين مجلدًا[2]، طبع منها في مصر خمسة أجزاء سنة (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م).

واختصر الذهبي من تاريخه مختصرات منها (سير أعلام النبلاء) في أربعة عشر مجلدًا[3]، طبع منها الجزءان الأول والثاني بمصر سنة (١٩٥٧م) والثالث سنة (١٩٦٢م).

٢٠ ـ (التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي (٧١٥ ـ ٧٦٥هـ)، ضم في كتابه هذا إلى من (في تهذيب الكمال) لشيخه المزي في الكتب الأربعة: الموطأ ومسند الشافعي ومسند أحمد ومسند أبي حنيفة الذي خرجه الحسين ابن محمد بن خسرو من حديث أبي حنيفة، واقتصر على من في الكتب الستة دون من أخرج لهم مصنفوها في مصنفاتهم الأخرى كالأدب المفرد للبخاري. . .)[4].

= ورقة ومسطرتها مختلفة. وللحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي (المتوفى بعد سنة ٩٢٣هـ) كتاب (خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال) طبع بمصر سنة (١٣٠١) في مجلد.

(١) انظر: النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩ مصطلح) في مجلد عدد أوراقه (٢١٣) ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرًا: ٢٧ × ٨ سم، وتوجد نسختان أخريان.

(٢) انظر: الأعلام ص ٢٢٢ جـ٦، ويوجد منه في دار الكتب المصرية (٣٤) مجلدًا مخطوطًا.

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة ص ١٠١، وفي دار الكتب نسخة مصورة منه.

(٤) انظر: مقدمة تعجيل المنفعة. وكان ابن حجر قد اطلع على الكتاب وتتبع ما في كتاب الغرائب عن مالك وما في معرفة السنن والآثار للبيهقي من الرجال الذين وقع ذكرهم في روايات الشافعي مما ليس في المسند وما في كتاب الزهد للإمام أحمد مما ليس في مسنده وما في كتاب الآثار لمحمد بن الحسن وسماه (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) طبع بالهند سنة ١٣٢٤هـ.

٢١- (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) وفيه لخص (تهذيب الكمال) للمزى وزاد عليه فوائد كثيرة؛ وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥- ١٣٢٧هـ) فى اثنى عشر مجلداً ويعتبر (تهذيب التهذيب) من أجمع كتب تراجم رواة الحديث المتداولة بين العلماء فى هذا العصر، وأصبحت نسخه نادرة وعزيزة، وقد لخصه ابن حجر فى مجلد واحد سماه (تقريب التهذيب فى أسماء الرجال) طبع بالهند سنة (١٣٢٠هـ) ثم طبع سنة (١٣٥٦هـ) مع تعقيب التقريب للمولوى أمير على[١].

٢٢- (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) للحافظ جلال الدين السيوطى وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٠هـ).

ب- كتب الطبقات:

وهى الكتب التى جعل مصنفوها الرجال على طبقات، وذكروا أحوالهم طبقة بعد طبقة إلى عصر المؤلف وقد جمعت نيفًا وعشرين مؤلفًا فى موضوعنا. أقتصر على ذكر أشهرها.

١- (الطبقات الكبرى) للمؤرخ الثقة محمد بن سعد بن منيع الحافظ كاتب الواقدى (المولود سنة ١٦٨هـ والمتوفى سنة ٢٣٠هـ). فقد صنف سيرة الرسول ﷺ، ثم ترجم للصحابة على طبقاتهم، فالتابعين، فمن بعدهم إلى وقته، فأجاد وأحسن، ويعتبر كتابه هذا من أوثق وأهم المصادر الإسلامية فى التاريخ والرجال وقد طبعت الطبقات بمدينة ليدن سنة (١٣٢٢هـ) فى ثلاثة عشر مجلداً خصص الأخير منها للنساء، ووُضعَ لكل من ترجم لهم ابن سعد فى المجلد الرابع عشر فهرس عام، مما يسهل الرجوع إليه. ولابن سعد أيضًا طبقات صغرى ثانية وثالثة[٢].

---

(١) كما طبع على هامش (التقريب) كتاب (المغنى فى أسماء رجال الحديث) للعلامة محمد بن طاهر بالهند سنة (١٢٩٠هـ) وهناك طبعات أخرى وظهرت أخيرًا طبعة جيدة لتقريب التهذيب طبعت فى القاهرة سنة (١١٣٨٠هـ).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى فى قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية، وانظر: الرسالة المستطرفة ص ١٠٤.

٢- (طبقات الرواة) فى ثمانية أجزاء[١] للحافظ أبى عمرو خليفة بن خياط الشيبانى العصفرى (- ٢٤٠هـ) أحد شيوخ البخارى.

٣- (طبقات التابعين) للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٤ - ٢٦١هـ)[٢].

٤- كتاب (التابعين) فى اثنى عشر جزءًا، للحافظ محمد بن حبان أبى حاتم البستى، (٢٧٠- ٣٥٤هـ) وله (أتباع التابعين) و(تباع التبع) كلاهما فى خمسة عشر جزءًا[٣]. و(الطبقات الأصبهانية)[٤].

٥- (طبقات المحدثين والرواة) لأبى نعيم. أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى (٣٣٦ - ٤٣٠هـ)[٥].

٦- (طبقات الحفاظ) للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣- ٧٤٨هـ).

ترجم فيه رواة الحديث من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن تلاهم إلى عصره وجعلهم على إحدى وعشرين طبقة، طبع فى أربعة أجزاء بالهند، ويعتبر من أنفس كتب الطبقات[٦].

٧- (طبقات الحفاظ) لجلال الدين السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ) ذكر فيه تراجم الحفاظ موجزة وقد طبع سنة (١٨٣٣م) بغوطا.

وغير هذه الكتب كثير، مما ألف فى طبقات علماء المذاهب، وطبقات حفاظ البلدان ككتاب المحدثين بأصبهان والواردين عليها لعبد الله محمد الأصبهانى، وطبقات علماء أفريقيا لأبى العرب محمد بن أحمد التميمى المغربى الأفريقى، وغير ذلك.

***

(١) الأعلام ص ٣٦١ جـ٢ ويوجد فى دار الكتب المصرية جزء من نسخة فيه من سكن المدينة من الصحابة والتابعين فى (٢٠٩) ورقات، مسطرتها بين ٢١ و٢٢ سطرًا: ٢٩ × ٢٠ سم نقلاً عن نسخة قديمة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٤٧٥ مصطلح).

(٢) معجم المؤلفين ص ٢٣٢ جـ١٢.

(٣) الأعلام ص ٣٠٦ جـ٦.

(٤) معجم المؤلفين ص ١٧٣ جـ٩.

(٥) الأعلام ص ١٥٠ جـ١.

(٦) انظر: هذه النسخة فى قسم الإرشاد من دار الكتب المصرية باسم (تذكرة الحفاظ).

ثالثًا: كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب:

وكما صنف العلماء تراجم الرواة وأحوالهم رأوا أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة لدفع الالتباس، ومنع الوقوع فى الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، فصنفوا كتبًا كثيرة فى الكنى والألقاب والأنساب، وهذه الكتب أكثر من أن تحصى، وقد جمعت منها نيفًا وثلاثين كتابًا، سأذكر أشهر ما ألف فى الأسماء والكنى والألقاب، ثم أتبعها بأشهر كتب أنساب الرواة.

أ- كتب فى الأسماء والكنى والألقاب:

١- (الأسامى والكنى) فى ثمانية أجزاء[١] لعلى بن عبد الله بن جعفر المدينى (المولود ١٦١هـ والمتوفى سنة ٢٣٤هـ).

٢- (الأسماء والكنى)[٢] للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ).

٣- (الكنى) ألف بهذا الاسم كثير من أئمة الحديث فى ذلك العصر، منهم الإمام البخارى والنسائى وعبد الرحمن بن أبى حاتم وغيرهم[٣].

٤- (كتاب الكنى والأسماء)[٤] للإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى (٢٠٤ـ٢٦١هـ).

٥- (الكنى والأسماء) لأبى بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصارى الدولابى (٢٣٤ ـ ٣٢٠هـ) وهو كتاب جامع مشهور، طبع فى جزأين بالهند سنة (١٣٢٢ - ١٣٢٣هـ)[٥].

٦- (الأسماء والكنى)[٦] فى أربعة عشر مجلدًا للحاكم الكبير أبى أحمد محمد ابن محمد بن أحمد النيسابورى الحافظ المحدث (٢٨٥ - ٣٧٨هـ).

---

(١) معجم المؤلفين ص ١٣٢ جـ٧.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠.

(٣) انظر: الرسالة المستطرفة ص ٩٠، ٩١.

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية فى (٧٦) ورقة متوسط مسطرتها ٢١ سطرًا تحت رقم (٢٢١ طلعت: مصطلح).

(٥) الجزءان على التوالى (٢٠٣/ ١٧١) صفحة سوى (٩٤) صفحة فهارس وتوجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٦٠ مصطلح).

(٦) الرسالة المستطرفة ص ٩١، والأعلام ص ٢٤٤ جـ٧، ومعجم المؤلفين ١٨٠ جـ١١.

٧- (فتح الباب فى الكنى والألقاب) لأبى عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الأصبهانى (٣١٠ - ٣٩٥هـ) نشره وعلق عليه (وى دونج) بألمانيا سنة (١٩٢٧).

٨- (المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث) و(المشتبه فى النسبة) للإمام النسابة أبى محمد عبد الغنى بن سعيد الأسدى المصرى شيخ حفاظ الحديث بمصر فى عصره (٣٣٢ - ٤٠٩هـ) وقد طبع الكتابان فى مجلد واحد فى (٢١٦) صفحة بالهند سنة (١٣٢٦هـ).

٩- (تكملة المؤتلف والمختلف) و(الأسماء والألقاب)[١] و(الأسماء المبهمة فى الأنباء المحكمة)[٢] و(تلخيص المتشابة فى الرسم فى أسماء الرواة)[٣] لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى، المعروف بالخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٦٣هـ).

١٠- (الإكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) للأمير الحافظ أبى نصر على بن هبة الله بن جعفر: ابن مأكولا البغدادى (٤٢١ - ٤٨٦هـ)، وهو كتاب قيم، ألفه بعد أن اطلع على كتب البغدادى وعلى كتابى عبد الغنى بن سعيد الأزدى[٤].

قال ابن خلكان: لم يوضع مثله[٥].

١١- (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب)[٦] لأبى الفرج عبد الرحمن ابن على (ابن الجوزى) (٥٠٨ - ٥٩٧هـ).

---

(١) الأعلام ص ١٦٦ جـ١، وبالنسبة (لتكملة المؤتلف والمختلف) انظر: (الإكمال فى رفع الارتياب) لابن مأكولا.

(٢) توجد نسخ مخطوطة منه ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت الرقم (١٥٥٨ حديث).

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣١ مصطلح) وقد رتب الكتاب على خمسة فصول، وبعد أن انتهى من هذا الكتاب أتبعه بكتاب ثان ضمنه ما يتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم، والكتابان فى مجلد واحد الأول (٢٨٠) ورقة والثانى فى (٦٨) ورقة ومسطرته ٢٢ سطرًا: ٥ و٢٤ × ١٧ سم.

(٤) انظر: مقدمة الكتاب فى النسخة المخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٨ مصطلح) وهى فى جزأين الأول (٣١٩) ورقة والثانى (٣٣٤) ورقة، ورتبه على الحروف الهجائية وجعل لكل اسم من الحرف بابًا.

(٥) الأعلام ص ١٨٣ جـ٥.

(٦) الرسالة المستطرفة ص ٩٠.

١٢- (المستدرك على الإكمال لابن مأكولا) للحافظ محمد بن عبد الغنى البغدادى (ابن نقطة) المتوفى سنة (٦٢٩هـ)[١].

١٣- (المشتبه فى أسماء الرجال) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (٦٧٣- ٧٤٨هـ) وهذا الكتاب ثمرة الجهود التى بذلها من سبق الذهبى فى هذا الباب، مما جاء فى كتب الأزدى وابن مأكولا وابن نقطة، وشيخ الذهبى أبى يعلى الفرضى وغيرهم، وأضاف إلى ذلك ما وقع له أو تنبه إليه[٢]، وطبع هذا الكتاب فى ليدن سنة (١٨٦٣ و١٨٨١م) فى (٦١٢) صفحة، وقدم له الدكتور (دوجونغ). وللذهبى أيضًا (المقتنى فى سرد الكنى) وهو مختصر كتاب الحاكم الكبير بعد أن زاد الذهبى عليه ورتبه على حروف المعجم[٣].

١٤- (تحفة ذوى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب الدهشة محمود بن أحمد الهمذانى الفيومى الأصل، (٧٥٠ - ٨٣٤هـ) وقد ألفه سنة (٨٠٤هـ) وطبع بليدن سنة (١٩٠٥م) مع مقدمة بالألمانية.

١٥- (نزهة الألباب فى الألقاب) للحافظ أبى الفضل شهاب الدين: ابن حجر الكنانى العسقلانى (٧٧٣- ٨٥٢هـ) جمع فيه ما لغيره وزاد أشياء كثيرة مما فات سلفه[٤].

ب- وأما كتب الأنساب فأشهرها:

١- (ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن فى بعضه زيادة حرف واحد)[٥] لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت، الخطيب البغدادى (٣٩٢- ٤٦٣هـ).

---

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (١٠ مصطلح) فى ٦٠ ورقة مسطرتها: ٢٧ سطرًا: ٢٨ × ٢٠سم.

(٢) ذكر الذهبى هذا فى مقدمته. ولابن ناصر الدين محمد بن أبى بكر الدمشقى (٧٧٧ - ٨٤٢هـ) كتاب (التوضيح لكتاب المشتبه فى الرجال) للذهبى يوجد منه الجزء الأول فى دار الكتب المصرية تحت رقم (ب ٢٣٢٩١) مصورًا عن النسخة الخطية فى مكتبة سوهاج تحت رقم (١١١ حديث).

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٩١.

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٣٦ مصطلح) فى (٧٠) ورقة مسطرتها ٢٣ سطرًا: ٢٥,٥ × ١٧سم. وقد رتبه على أبواب ثلاثة.

(٥) توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية ملحقة بكتاب (تلخيص المتشابه) فى (٦٧) ورقة تحت رقم (٣١ مصطلح).

٢- (الأنساب المتفقة فى الخط المتماثلة فى النقط والضبط) للشيخ محمد بن طاهر المقدسى (٤٨٨- ٥٠٧هـ) وذيل تلميذه محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى الأصبهانى (المتوفى سنة ٥٨١هـ) عليه وطبعا معًا فى مجلد واحد بليدن سنة (١٨٦٥م).

٣- (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار فى أنساب الصحابة، ورواة الآثار) لأبى محمد عبد الله بن على اللخمى الأندلسى المعروف بالرشاطى (٤٦٦- ٥٤٢هـ) وهو كتاب قد أحسن فيه وأجاد، وتلقاه عنه الناس[١].

٤- (الأنساب) لتاج الإسلام أبى سعيد عبد الكريم بن محمد بن أبى المظفر التميمى السمعانى صاحب التصانيف الكثيرة (٥٠٦ - ٥٦٢هـ) ذكر فيه أنساب الرجال، وذكر لمن يترجم له سيرته وقول الناس فيه من جرح أو تعديل، وشيوخه ومن روى عنه، ورتبه على حروف المعجم. قدم له المستشرق (مارج ليوس) وطبع بالزنكرغراف سنة (١٩١٢م) بمدينة ليدن[٢].

٥- (اللباب) فى ثلاثة مجلدات لعلى بن محمد الشيبانى الجزرى (٥٥٥- ٦٣٠هـ) اختصر به أنساب السمعانى وزاد فيه. وقد طبع فى ثلاثة أجزاء بمصر سنة (١٣٥٦- ١٣٥٩هـ)[٣].

٦- (نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان)[٤] لمحمد بن محمود محب الدين: ابن النجار (٥٧٨- ٦٤٣هـ).

٧- (الاكتساب فى تخليص كتب الأنساب) للقاضى قطب الدين محمد ابن محمد الخيضرى الشافعى (٨٢١ - ٨٩٤هـ) وهو مختصر كتاب أنساب السمعانى وضم إليه ما عند ابن الأثير والرشاطى وغيرهما[٥].

***

(١) الرسالة المستطرفة ص ٩٤.

(٢) توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٣٦ تاريخ).

(٣) وقد لخص السيوطى اللباب فى كتابه (لب اللباب فى تحرير الأنساب) وطبع فى ليدن سنة (١٨٥١م).

(٤) انظر: الأعلام ص ٣٠٧ جـ٣ وقارن بالرسالة المستطرفة ص ٩٤.

(٥) انظر: الرسالة المستطرفة ص ٩٤.

رابعًا: كتب فى الجرح والتعديل:

إن ظهور هذا النوع من المصنفات كان نتيجة حتمية لجهود النقاد، ودراستهم أحوال الرجال من حيث قبول أخبارهم أو عدم قبولها، وقد رأينا القوانين التى طبقها النقاد على كل راو لمعرفة حاله، وعرفنا سموهم ونزاهتهم فى نقدهم، قال الذهبى: (وقد ألف الحفاظ مصنفات جمة فى الجرح والتعديل، ما بين اختصار وتطويل، فأول من جمع كلامه فى ذلك الإمام الذى قال فيه أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينى مثل يحيى بن سعيد القطان، وتكلم فى ذاك بعده تلامذته يحيى ابن معين، وعلى بن المدينى، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن على الفلاس، وأبو خيثمة، وتلامذتهم كأبى زرعة، وأبى حاتم، والبخارى، ومسلم، وأبى إسحاق الجوزجانى السعدى، وخلق من بعدهم، مثل النسائى، وابن خزيمة، والترمذى، والدولابى، والعقيلى، وله مصنف مفيد فى معرفة الضعفاء، ولأبى حاتم بن حبان كتاب كبير... ولأبى أحمد بن عدى كتاب الكامل)[1].

والمصنفون فى هذا العلم لهم مناهج مختلفة فى التصنيف، فمنهم من ذكر فى فى مصنفه الكذابين والضعفاء، ومنهم من أضاف على ذلك فذكر بعض الموضوعات، ومنهم من صنف فى الثقات فقط، ومنهم من صنف فى الضعفاء والثقات معًا، ولذلك نستعرض فى هذه الفقرة ما صنف فى الضعفاء أو الثقات، أو ما صنف فيهما، ونفرد فى فقرة خاصة ما صنف فى الموضوعات.
وقد جمعت فى موضوع الجرح والتعديل نيفا وثلاثين كتابًا، أذكر أشهرها:

١ ـ (الجرح والتعديل)[2] للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١هـ).

٢ ـ (الضعفاء)[3] لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى الزهرى (- ٢٤٩هـ).

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال ص٢ جـ٢.

(٢) معجم المؤلفين ص٩٦ جـ١.

(٣) الأعلام ص٩٢ جـ٧.

٣ـ (الجرح والتعديل) و(الضعفاء)[١] لأبى إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدى الجوزجانى المتوفى سنة (٢٥٩هـ).

٤ـ (الضعفاء) للإمام محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤- ٢٥٦هـ) وقد طبع بالهند مع التاريخ الصغير للبخارى، وطبع معه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى. وذلك سنة (١٣٢٥هـ).

٥ـ (تاريخ) فى الثقات والضعفاء لأحمد بن أبى خيثمة النسائى البغدادى (١٨٥- ٢٧٩هـ) قال فيه الخطيب البغدادى لا أعرف أغزر فوائد منه[٢].

٦ـ (تاريخ الضعفاء والمتروكين) للإمام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن على النسائى (٢١٥- ٣٠٣هـ) وقد رتبه على حروف المعجم، وطبع ضمن (مجموعة بالهند سنة ١٣٢٥هـ).

٧ـ (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبى حاتم بن إدريس الحنظلى الرازى (٢٤٠- ٣٢٧هـ) وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التى وصلتنا ومن أغزرها فائدة، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم تاريخ الحديث. لهذا لابد من بسط القول فيه.

فقد تتلمذ ابن أبى حاتم على والده أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى وعلى أبى زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازى وهما من طبقة البخارى، فأخذ عنهما علم الجرح والتعديل، وأفاد منهما كثيرًا فى تصنيف كتابه، وحرص على استيعاب نصوص أئمة العلم فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح، وزاد فوائد وزيادات فى كثير من التراجم يندر وجودها عند من سبقه، كما استدرك على البخارى فى بعضها، وقد جمع كتابه نصوص أبيه فى الجرح والتعديل، ونصوص أبى زرعة، ونصوص البخارى، إلا أنه استغنى عن نصوص البخارى بموافقة أبيه للبخارى فى غالب تلك الأحكام، وتتبع ابن أبى حاتم نصوص الأئمة، فأخذ عن أبيه وعن

---

(١) معجم المؤلفين ص٢٨ جـ١ وقارن بالرسالة المستطرفة ص ١١٠.

(٢) الرسالة المستطرفة ص٩٧، ويقع فى ثلاثين مجلدًا صغارًا واثنى عشر كبارًا.

محمد بن إبراهيم بن شعيب ما رواياه عن عمرو بن الفلاس مما قاله باجتهاده، ومما يرويه عن عبد الرحمن بن مهدى (١٣٥- ١٩٨هـ) ويحيى بن سعيد القطان (١٢٠- ١٩٨هـ) مما يقولانه باجتهادهما، ومما يرويانه عن سفيان الثورى (٩٧- ١٦١هـ) وشعبة بن الحجاج (٨٢- ١٦٠هـ)، وأخذ عن صالح بن أحمد بن حنبل ما يرويه عن أبيه، وأخذ عن صالح أيضًا وعن محمد بن أحمد بن البراء ما يرويانه عن على بن المدينى (١٦١- ٢٣٤هـ) مما يقوله باجتهاده ومما يرويه عن سفيان ابن عيينة (١٠٧- ١٩٨هـ) وعن عبد الرحمن بن مهدى وعن يحيى بن سعيد القطان، واتصل بجميع أصحاب الإمام أحمد ويحيى بن معين (١٥٨- ٢٣٣هـ) فروى عن أبيه عنهما، وعن أبيه عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وروى عن غيرهم، كما أخذ عن عباس الدورى (المتوفى سنة ٢٧١هـ).

لهذا كان كتابه زاخرًا بنصوص الأحكام التى أصدرها جهابذة علم الجرح والتعديل، وبهذا يفوق كتاب التاريخ الكبير للبخارى، لأنه قلما ذكر البخارى فى تاريخه جرحًا وتعديلاً، وهذا لا ينقص من قيمة كتاب البخارى، فربما فعل ذلك عمدًا لأنه ألف فى الضعفاء كتابًا منفردًا.

ورتب ابن أبى حاتم كتابه على حروف المعجم بالنسبة للحرف الأول من الاسم فقط، ففى باب الألف نرى باب أحمد ثم باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ثم باب أيوب ثم باب آدم وهكذا، وإذا كثرت التراجم فى الباب رتبها على أبواب ذيلية بحسب أول أسماء الآباء، فقدم فى الأحمدين من أول اسم أبيه ألف ثم من أول اسم أبيه باء. . . وإذا كثرت التراجم فى الباب رتبهم باعتبار اسم الأب والجد، كما فعل فى من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله، فذكر أولاً من أول اسم جده ألف ثم من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله، وأول اسم جده باء وهكذا وجعله فى أربعة أجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة ذكر كل راو وما قيل فيه بأسانيد صحيحة. وجعل للكتاب مقدمة هى مفتاح له، فى جزء مفرد سماها (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل)، وهى عظيمة جداً، تكلم فيها حول هذا العلم وترجم لجهابذته ترجمة وافية، فكان الكتاب فريدًا فى فنه، لا يستغنى عنه عالم فى الحديث

وعلومه. وهو صورة صادقة عن مؤلفات لا ندرى عددها كانت فى ذلك العصر، لم يكتب لهـا الوصول إلينا، وقـد طبع هذا الكتـاب بالهند (سنة ١٣٧٣هـ) فى تسـعة مجلدات، مجلد للمقدمة، ومجلدان لكل جزء من أجزائه الأربعة[١].

٨ـ (الثقات)[٢] لأبى حاتم بن حـبان البـستى، (المتـوفى سنة ٣٥٤هـ) ولكنه تساهل فى توثيـق بعض من ذكرهم، ولهذا وجب التنبـيه إلى أن توثيق ابن حـبان دون توثيق غيره.

٩ـ (الكامل)[٣] فى معرفة ضعفـاء المحدثين وعلل الحديث. للحافظ الكبير أبى أحمـد عبد الله بن مـحمد بـن عدى الجرجـانى (٢٧٧- ٣٦٥هـ) ذكر فى كتابه هذا كل من تكلم فـيه ولو كان من رجال الصحيحـين، وذكر فى ترجمة كل واحد حـديثًا فأكثـر من غرائبه ومناكـيره، وهو أكمل كتب الجـرح وعليه الاعتماد فيها.

١٠ـ (تاريـخ أسـماء الـثـقـات ممن نـقـل عنهم العلم)[٤] لأبى حفص، عـمر ابن أحمد عثمان بن شاهين (٢٩٧- ٣٨٥هـ). وقد رتبه على حروف المعجم.

١١ـ (المدخل) للإمام الحاكم[٥] أبى عبـد الله محمـد بن عبد الله النيـسابورى (٣٢١ - ٤٠٥هـ) تكلم فى قسم منه عن المجروحين وبسط القول فى هذا.

---

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٨١١٢) وقد حصلت مكتبة كلية دار العلوم أخيرًا على نسخة منه.

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية ولكنها ناقـصة والموجود يبدأ من أسماء (أتباع التابعين) وقـسم من (أتباع أتبـاع التـابعين) من الألف إلى آخـر حرف الذال فى (١٨٣) ورقـة تحت رقم (٢٠٨ طلعت مصطلح)، وقد رتب نور الديـن الهيثمى (٧٣٥ - ٨٠٧هـ) ثقات ابن حبـان على حروف المعجم وسماه (ترتيب كـتاب الثـقـات) توجد نسـخة مـخطوطة منه فى دار الكتب المـصرية فى مـجلدين فى (١٩٦/ ١٨٣) ورقة تحت رقم (٣٧ مصطلح).

(٣) يوجد منه فى دار الكتب المصـرية خمسـة عشر جزءًا مـخطوطًا بأرقام مختـلفة تكون أجزاء مخـتلفة من (الكامل) لثلاث نسخ إلا أنها ناقصة وهى تحت رقم (٩٣ - ٩٦ مصطلح).

(٤) انظر: الأعلام ص١٩٦ جـ٥.

(٥) طبع بحلب سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) بإشراف الشيخ راغب الطباخ.

١٢ـ كتاب (الضعفاء المتروكين - أو أسماء الضعفاء الواضعين)[١] لأبى الفرج عبد الرحمن بن على: ابن الجوزى (٥١٠ - ٥٩٧هـ)، وقد ذكر فيه الضعفاء الواضعين، وذكر من جرحهم من الأئمة الكبار الحافظين، ورتبه على حروف المعجم.

١٣ـ (ميزان الاعتدال) للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (٦٧٣-٧٤٨هـ) وهو فى ثلاثة أجزاء، سلك فيه مسلك ابن عدى، فذكر كل من تكلم فيه وإن كان ثقة، وذكر فى ترجمة كل راو حديثًا أو أكثر من غرائبة ومناكيره. طبع فى مصر سنة (١٣٢٥هـ) فى ثلاثة مجلدات فيها (١٠٩٠٧) تراجم، وللذهبى (رسالة فى الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم)[٢].

١٤ـ (الاغتباط بمعرفة من رمى بالاختلاط)[٣] لبرهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبى سبط ابن العجمى (المتوفى سنة ٨٤١هـ) وله أيضًا (التبيين لأسماء المدلسين)[٤] وله أيضًا (الكشف الحثيث على من رمى بوضع الحديث)[٥].

١٥ـ (لسان الميزان) للحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) ضمنه الميزان وزاد عليه، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٩- ١٣٣١هـ) فى ستة أجزاء. ولابن حجر أيضًا (طبقات المدلسين) طبع بمصر سنة (١٣٢٢هـ).

١٦ـ (الثقات ممن لم يقع فى الكتب الستة) لزين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٠٢ - ٨٧٩) وهو فى أربعة مجلدات[٦].

وقد أغفلت كثيرًا من المؤلفات التى استمدت من هذه الأصول خشية الإطالة.

---

(١) توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة كتبت سنة (٧١٠) فى (١٧٦) لوحة وتشمل كل لوحة على صفحتين وفيها طيارات كثيرة. تحت رقم (٣٧١ مصطلح).

(٢) طبع فى مصر سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م). وقد استدرك على الذهبى فى ميزانه سبط ابن العجمى فى كتاب سماه (نثل الهميان فى معيار الميزان) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٣٤٦ ب).

(٣) ذكر فى كتابه هذا من اختلط فى آخر عمره من الثقات، وذكر من نعته بذلك. وقد بين أحيانًا السنة التى اختلط فيها الراوى. وقد طبع بحلب (سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) بإشراف الشيخ راغب الطباخ.

(٤) طبع بحلب بإشراف الشيخ راغب الطباخ مع رسالة الاغتباط السالفة الذكر.

(٥) انظر: تحذير المسلمين من الأحايث الموضوعة على سيد المرسلين ص١٨.

(٦) الرسالة المستطرفة ص ١١٠.

خامسًا: المؤلفات فى الموضوعات:

جمعت فى هذا الموضوع نحوًا من أربعين مؤلفًا أذكر أشهرها:

١ـ (تذكرة الموضوعات) لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى (٤٤٨ - ٥٠٧هـ) رتبه على حروف المعجم، وفيه يذكر الحديث ويذكر من جرح راويه من الأئمة. طبع بمصر سنة (١٣٢٣هـ).

٢ـ (الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات)[١] لأبى عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمدانى الجوزقى (المتوفى سنة ٥٤٣هـ) نص فيه على أحاديث موضوعة، وبين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها.

٣ـ (الموضوعات الكبرى) لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) وهو فى أربعة مجلدات، تناول فيه ما ورد من الأحاديث فى كتاب الكامل لابن عدى والضعفاء لابن حبان، والعقيلى والأزدى وتفسير ابن مردويه ومعاجم الطبرانى الثلاثة وتصانيف الخطيب، ومصنفات أبى نعيم، وغيرها من الكتب، وتساهل فى الحكم على تلك المرويات بالوضع، فقد أورد فيه الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما فى سنن أبى داود[٢]. لهذا كثر انتقاد العلماء له.

٤ـ (المغنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شىء فى هذا الباب) للحافظ ضياء الدين أبى حفص عمر بن بدر الموصلى الحنفى (المتوفى سنة ٦٢٣هـ)[٣].

٥ـ (الأحاديث الموضوعة التى يرويها العامة والقصاص)[٤] رسالة لعبد السلام ابن عبد الله (ابن تيمية) الحرانى (- ٦٥٢هـ) جد الإمام أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، وله رسالتان فى الموضوعات تشدد فيهما كابن الجوزى[٥].

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ١١٠.

(٢) انظر: مقدمة كتاب تنزيه الشريعة ص : ل، ويوجد الجزء الثانى من موضوعات ابن الجوزى فى دار الكتب المصرية من نسخة تحت الرقم (١٤٧م) والجزء الأخير من نسخة تحت الرقم (٤٤٨ حديث) وكلاهما مخطوط.

(٣) طبع الكتاب سنة (١٣٤٢هـ) بالقاهرة.

(٤) انظر: النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٦ مجاميع).

(٥) انظرهما: تحت الرقم (٨٧ مجاميع) فى قسم المخطوطات من دار الكتب المصرية.

٦ـ (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)[١] للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى (٧٢٥ - ٨٠٦هـ).

٧ـ (اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) للحافظ جلال الدين السيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزى واستدرك عليه وزاد فيه ما ورد فى تاريخ ابن عساكر، وابن النجار، ومسند الفردوس، وتصانيف أبى الشيخ[٢]. وله أيضًا (ذيل اللآلئ المصنوعة)، و(التعقبات على الموضوعات)، و(النكت البديعات).

٨ـ (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبى الحسن على ابن محمد (ابن عراق) الكنانى (المتوفى سنة ٩٦٣هـ) وهو كتاب جامع زاد فيه على السيوطى فى لآلئه واستدرك عليه، وجعله فى مقدمة وقسمين. ذكر فى القسم الأول أسماء الوضاعين ومن اتهمهم بالكذب من رجال النقد، وذكر فى القسم الثانى الأحاديث الموضوعة، وبين الرواة المتهمين بوضعها. وطبع الكتاب سنة (١٣٧٨هـ) بمصر فى مجلدين.

٩ـ (تذكرة الموضوعات) لرئيس محدثى الهند جمال الدين محمد بن طاهر ابن على الفتنى (المتوفى سنة ٩٨٦هـ) وله أيضًا (قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء) طبعا (سنة ١٣٤٣هـ) بالقاهرة فى مجلد واحد.

١٠ـ (الكشف الإلهى عن شديد الضعف والموضوع الواهى) لمحمد بن محمد الحسينى السندروسى (المتوفى سنة ١١٧٧هـ) جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهية والموضوعة[٣].

---

(١) لخصه السيوطى فى كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص) فى الفصل التاسع منه واستدرك عليه فى الفصل العاشر. وقد طبع كتاب السيوطى سنة (١٣٥١هـ) بمصر.

(٢) انظر: مقدمة اللآلئ وقد طبع الكتاب فى مجلدين بمصر سنة (١٣١٧هـ) وطبعت تعليقاته على ابن الجوزى سنة (١٨٨٦م) بالهند.

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٠م - الحديث).

١١ ـ (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) للقاضى أبى عبد الله محمد ابن على الشوكانى، (١١٧٣هـ - ١٢٥٥هـ) وقد أفاد من مؤلفات السلف، إلا أنه تساهل فى الحكم على بعض الأحاديث بالوضع، فأدرج فيه بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة، وقد نبه إلى هذا عبد الحى اللكنوى فى كتابه (ظفر الأمانى)[١]، وطبع الكتاب سنة (١٣٨٠ - ١٩٦٠م) بمصر.

١٢ ـ (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين) لعبد الله: محمد البشير ظافر المالكى (-١٣٢٥هـ) ذكر فيه الأحاديث الموضوعة المشتهرة على الألسنة، ورتبها على حروف المعجم، وقدم لكتابه بتمهيد قيم جامع حول المؤلفات فى الموضوعات والكتب والرسائل المشحونة بالموضوعات وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م) بمصر.

وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة فى مواضيع مختلفة، تذكر الأحاديث الموضوعة فى باب من أبواب العبادات أو المعاملات وغير ذلك لم أتعرض لذكرها وهى أكثر من أن تحصى.

وإلى جانب هذه المؤلفات ظهرت مؤلفات كثيرة فى الأحاديث المشتهرة بين الناس، تبين منزلة الحديث من القوة أو الضعف، أو الوضع، ومن أشهر هذه الكتب:

١ ـ (التذكرة فى الأحاديث المشتهرة) لبدر الدين الزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)[٢].

٢ ـ (اللآلئ المنثورة فى الأحاديث المشهورة، مما ألفه الطبع وليس له أصل فى الشرع) للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)[٣].

٣ ـ (المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) للحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٨٣١ - ٩٠٢هـ) رتبه على حروف المعجم، كما رتبه على الأبواب وهو كتاب جيد مفيد طبع سنة (١٣٧٥ - ١٩٥٦م) بمصر.

---

(١) انظر: الرسالة المستطرفة ص١١٤.
(٢) الرسالة المستطرفة ص١٤٣.
(٣) انظر: تحذير المسلمين للبشير ظافر ص١٥.

وقد أغفلت كثيرًا من الكتب التى ألفت فى الأحاديث المشتهرة، مما لخصه الخلف من كتب السلف، فلم أذكر مؤلفات السيوطى، والسمهودى، والمنوفى، والخليلى، والغزى العامرى، والعجلونى الجراحى، وابن جار الله، والبيرونى وغيرهم. مكتفيًا بأمهات الكتب.

تلك أشهر الكتب التى تناولت موضوعنا، وأما الكتب التى ألفت فى مصطلح الحديث وعلومه وآراء العلماء فيها، والمقبول من الحديث والمردود، وغير ذلك مما تناولته كتب المصطلح الكثيرة المنظوم منها والمنثور - فهى تفوق الحصر، ومن النادر أن نرى محدثًا ليس له مصنف أو رسالة يتناول فيها علم مصطلح الحديث أو بعضه.

كما ألفت كتب كثيرة فى علل الحديث وغريبه ومختلفه[1]، ومن يطلع على مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق وغيرهما من المكتبات الإسلامية يجد كنوزًا علمية نادرة ساهمت فى حفظ الحديث سندًا ومتنًا، وبينت صحيحه من سقيمه، وقد كانت تلك المؤلفات نتيجة لجهود العلماء على مر السنين، وستبقى إلى ما شاء الله، لأنها الحصن المنيع لحماية السنة الطاهرة المفسرة للكتاب الكريم. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

***

(١) انظر: الرسالة المستطرفة التى ضمت معظم ما ألف فى الحديث وعلومه.